المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 18 -- العدد 01 -- جوان 2026 ص 32 - 76

فقرة أوغزير بتوات: سيد الحاج امحمد الأوغزيري ومولاي عبد المالك الرقاني

Faqrah of Oughzir in Touat: Sid Hadj M'hammed Oughziri and Moulay Abdelmalek Reggani

هشام عبد الوافي hiabdelouafi@gmail.com	الترجمة وعلوم اللغة	جامعة بومبيو فابرا/ اسبانيا

DOI :

الإرسال: 2025/10/16 **القبول**: 2026/06/13 **النشر**: 2026/06/20

ملخص:

تعتبر فقرة أوغزير ممارسة اجتماعية فريدة، تجسد عمق الصلة التاريخية والروحية بين الأسر المنحدرة من سلالات الأولياء وعباد الله الصالحين في منطقة توات؛ لذا تهدف هذه الدراسة إلى كشف النقاب عن تلكم الأسرار والبركات التي تربط بين سيد الحاج امحمد الأوغزيري ومولاي عبد المالك الرقاني وذريتهما. اعتمدت هذه الدراسة الوصفية التحليلية على جمع البيانات الميدانية والمصادر التاريخية والشفوية المتواترة الصحيحة. ولقد تتبعت الرحلة الموسمية للفقرة بدءًا من قصر أوغزير وصولًا إلى محطتها بزاوية الرقاني، مع تسجيل للممارسات والطقوس المصاحبة لهذه الرحلة ذهابًا وإيابًا. ومن خلال القراءات والتصورات والنتائج، نجد أن هذا التراث الحي (الفقرة) يشكل نموذجًا متميزًا للتفاعل بين التاريخ والروحانيات والمجتمع في المنطقة، مما يستدعي زيادة التعمق في دراسته للحفاظ عليه وتوثيقه.

كلمات مفتاحية: فقرة؛ أوغزير؛ سيد الحاج امحمد الأوغزيري؛ مولاي عبد المالك الرقاني؛ رقان؛ أدرار.

Abstract:

The Faqrah of Oughzir is a unique social practice that embodies the profound historical and spiritual connections between families descended from lineages of saints and righteous servants of Allah in the Touat region. This study seeks to unveil the spiritual blessings and sacred ties that link Sid El Hadj M'hammed Oughziri, Moulay Abdelmalek Reggani, and their descendants. Adopting a descriptive-analytical approach, the research relies on field data collection, historical sources, and verified oral traditions. It traces the seasonal journey of the Faqrah, starting from the Ksar of Oughzir to its destination at the Zaouiah of Reggani, documenting the accompanying practices and rites throughout the round trip. The findings reveal that this living heritage (Faqrah) serves as a distinctive model of the interplay between history, spirituality, and society in the region, necessitating deeper scholarly research to ensure its preservation and documentation.

Keywords: Faqrah; Oughzir; Sid Hadj M'hammed Oughziri; Moulay Abdelmalek Reggani; Reggan; Adrar.

المؤلف المراسل: عبد الوافي هشام **البريد الإلكتروني** : hiabdelouafi@gmail.com

مقدمة:

تمثل فقرة مولاي عبد المالك الرَّقَانِي أُوغْزِير أحد الموضوعات التاريخية والثقافية البارزة التي تستحق العناية البحثية الموضوعية الهادفة. فهي جزء أصيل من التراث اللامادي الثري الذي يميز قصر أُوغْزِيرَ (ببلدية أنْزَجْمِيرَ، دائرة زاويةِ كُنْتَةْ) بمنطقة تَوَاتَ، التي باتت تسمى ولاية أَدْرَارَ حاليًا بالجزائر.[1] تعكس هذه الممارسات التراثية جوانب مشرقة من الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية للمجتمع التَوَاتِي، مما يجعلها مصدرًا قيمًا لفهم تمسك أهله بالدين والوسطية والثبات على الهوية المحلية التي تزخر بها قصور وعائلات توات المتنوعة العريقة.

هذا وتجسد فقرة أوغزير الرابطة الروحية الوثيقة والأسرار الربانية العميقة الممتدة بين الولي الصالح سيد الحاج امحمد الأُوغْزِيرِي بقصر أُوغْزِيرَ والولي الصالح الشيخ مولاي عبد المالك الرَّقَانِي بزاوية الرَّقَانِي، برقان (150 كلم جنوب أدرار)، وهو شخصية دينية وتاريخية فذة، ذائعة الصيت والتأثير في توات قاطبة وخارجها. ومن الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني انتقلت تلكم الأسرار والأنوار لتشمل الأسر الشريفة لأولاد الرقاني، التي يساهم رجالاتها، دون هوادة أو كلل، في نشر تعاليم الإسلام الحنيف والأخلاق المحمدية، تعزيزًا للقيم الروحية الإنسانية والتربوية الاجتماعية بين مختلف شرائح المجتمع التواتي. فنجد أن هذا الإرث الروحي والاجتماعي (الفقرة)، الذي تأسس على قواعد الدين وسنة سيد المرسلين، يربط بين الذرية الطيبة المباركة للوليين الصالحين، سيد الحاج امحمد الأوغزيري ومولاي عبد المالك الرقاني، من عهد الأجداد الأُوَل، ولا زال الخَلَف يقتدي بنهج السلف بخطى ثابتة ومستمرة إلى يومنا هذا، وإن شاء الله إلى غد المستقبل (عبد الوافي، 2025أ).

[1] مع بداية تواجد الاحتلال الفرنسي بالمنطقة نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجريين، أي مطلع القرن 20 الميلادي (حوالي 1900م)، استبدل اسم توات بأدرار، وهي كلمة بربرية وتعني الجبل. وأما دائرة زاوية كُنْتَة فتعرف بهذا الاسم نسبة إلى المدرسة الرقادية الكُنتِية العريقة التي أسسها الشيخ سيدي أحمد المعروف بالرقاد الكُنتي رحمه الله، المتصل نسبه بالصحابي الجليل سيدنا عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، فاتح إفريقيا وقائد الجيوش الإسلامية. وتقع هذه المدرسة التاريخية، التي لا تزال قائمة تؤدي دورها العلمي والروحي حتى اليوم، على بعد 75 كيلومترًا جنوب مقر ولاية أدرار (للمزيد من التفاصيل عن تاريخ المدرسة الكنتية أنظر بوفلجة، 2019).

تتميز فقرة أوغزير، كما هو الشأن بالنسبة لباقي الفقرات في توات، بأسلوبها الأدبي الفريد، الذي يجمع بين البلاغة العربية الأصيلة والتعبيرات التواتية المحلية، مما يعكس التمازج بين اللسان العربي والعامّي في المدائح والقصائد التي تحمل معاني ووقائع بين طياتها ما تزال الآذان تشنف بها وتتناقلها الأجيال شفويًّا في كل مجلس ومحفل. وعليه، فإنه من خلال دراسة فقرة مولاي عبد المالك الرقاني أوغزير، يمكن للمهتمين وأصحاب الذوق استكشاف بعض الجوانب المتعددة التي تزخر بها قصور إقليم توات، مثل غزارة الأدب الشفوي الغني بالمعاني والأسرار، والتاريخ العلمي والديني الحافل بالمسرات والأخبار، والتفاعلات الثقافية الاجتماعية بين الأسر والقصور التواتية بهذه الديار (عبد الوافي، 2025أ). هذا وتعكس فقرة أوغزير مثالًا حيًّا على كيفية تناقل واستمرار هذا التراث الزاخر بتنوع الثقافات والعادات، من خلال هذه الممارسات بمجتمع توات المحافظ على قيم دين الإسلام وسنة العدنان ومحبة العلماء والصالحين رجال توات السادات، مما يبرز أهمية الحفاظ على هذا الإرث اللامادي الروحاني للأجيال القادمة وبذل النفس والنفيس لتوثيق صحيحه والتنزيه عن قبيحه.

1. استهلال لا بد منه

قبل التطرق إلى فقرة أوغزير، لا بد من إلقاء الضوء على بعض الجوانب التاريخية المهمة المتعلقة بعراقة منطقة توات بولاية أدرار، الجزائر. ولعل ما يبرز ثراء منطقة توات وتنوع تأثيراتها الثقافية والحضارية، تعدد الروايات التاريخية المختلفة حول أصل تسميتها التي تناول بوسعيد (2012: 12-23) تفاصيلها بشيء من الاجتهاد في التعليق والتفسير حول كل واحدة منها فأجاد وأفاد. ومن بين هذه الروايات نقف على ما يراه الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (2010: 57) في تفسيره الاشتقاقي للاسم حيث قال: "وإنما سُميت [توات] بهذا الاسم لأنها تُوَاتي للعبادة، أي: أنها تليق بها؛ لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تُوَاتيه للعبادة، فلذلك سكنها كثير من أولياء الله الكُمّل العارفين."

ولما منّ الله عليها بمقومات العبادة وخصها بعلامات القَبُول، صارت قِبلة للعارفين وملاذًا لأهل التقوى وأرباب العقول. فتشبعت قلوبهم بحقائق الإخلاص، وتجردت نفوسهم عن الأغيار والأنجاس، فأعرضوا عن زهرة الدنيا وطلقوها ثلاثًا بالأساس؛ واشتد عودهم واخضرت أرضهم فباتت تؤتي أكلها كل حين. فكان من ثمرات ذلك أن جمعوا بين علم وعمل وصرفوا إلى دار البقاء كل المنى والرجاء والأمل. ولا تزال توات في وقتنا الراهن

محافظة ولله الحمد على هذا الشرف العظيم والخصوصية الربانية. فنسأل الله أن يديمها مع تمام السلامة والعافية للمنطقة وأهلها وزائريها إلى يوم الدين.

وفضلًا عن هذه الرواية المحتملة ذات البعد الديني الصوفي الذي تتميز به قصور توات، ذهب كثير من الباحثين إلى أن اسم توات ذو أصل أعجمي (بربري)، نظرًا لقدم الوجود البربري في المنطقة، مع تأثيرات عربية لاحقة بعد الفتح الإسلامي. وبالرغم من عدم وجود إجماع قاطع حول أصل التسمية، على اختلاف وجهات نظر المؤرخين والرواة التي تحتمل الصواب والخطأ، فإن الجميع يتفق على عراقة أقاليم توات وتفردها بموروث عمراني وثقافي مميز يسبق بلا شك زمن حملها لهذا الاسم (أنظر بلعالم، ج1، 2005: 63-71؛ بوسعيد، 2012: 12-23). فقد شكلت منطقة توات بوتقة انصهرت فيها عناصر بربرية وعربية وإفريقية، أنتجت نموذجًا فريدًا للتعايش الحضاري في تخوم الصحراء الكبرى. وعليه، يعد هذا الإرث الحضاري المتعدد الأبعاد مدخلًا أساسيًا لفهم الثراء التاريخي والاجتماعي والبعد الروحي والديني للقصور التواتية. ويشكل تراث توات اللامادي، المتمثل في فنونها الشفهية وعمارتها التقليدية وأصالة عادات أهلها المحلية، بحرًا ثقافيًا فريدًا يستحق أن يحتفى به وأن يغوص الباحث في لججه؛ لذا تأتي فقرة أوغزير، موضوع هذا البحث، كأحد أبرز تجليات هذا التراث، حيث تمزج بين الأبعاد الدينية والروحية والتاريخية والثقافية والاجتماعية لأقاليم توات، وهي غيض من فيض.

1.2. مفارقات النطق الصحيح لكلمة تواتي

يحسن بنا في هذا السياق الوقوف عند النطق السليم لصيغة النسبة الجغرافية لمنطقة توات بقصد التوضيح والتصحيح. إن الصيغة اللغوية الأصح التي يحملها المنتسب جغرافيًّا إلى أي قصر من قصور أقاليم توات هي تَوَاتِي وتَوَاتِيّة، أي بفتح وتخفيف حرفي التاء والواو، وفقا لقواعد اللسان العربي الفصيح الذي يقتضي التخفيف والتسهيل. غير أننا نلاحظ بين عامة الناس، بل حتى عند بعض الأكاديميين، شيوع نطق الاسم بشيء من التشديد والثقل نحو: تُوَّاتِي أو تُوَّاتِي، وتَوَّاتِي أو تَوَّاتِي. ولا شك أن كل هذه الصيغ تحريف يعود إلى ظاهرة الثقل اللفظي في اللهجات المحلية التَوَاتِية. فالتشديد في العربية، الذي يدل غالبًا على المبالغة، يغير الوزن الصرفي، مما قد يوحي بمعنى غير المقصود من النسبة الجغرافية لتوات؛ لأجل ذلك وجب الحرص على التخفيف عند نطق هذه التسمية، تَوَاتِي(ة)، للحفاظ على الدلالة الأصلية.

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصيغة المبنية على التخفيف في النطق (تَوَاتِي أو تَوَاتِية)، تظل الأكثر دقة من الناحية اللغوية وإن شاع عكسها وتواتر، إذ تتوافق مع قواعد العربية الفصحى، كما تتسق مع نظام النسبة في الأسماء الجغرافية المشابهة. لذا يعتبر الحفاظ على ضبط النطق السليم لهذه الصيغة أمرًا مهمًا، خاصة في الكتابات الأكاديمية والوثائق الرسمية، دون أن يعني ذلك التقليل من قيمة اللهجات المحلية التواتية المختلفة بوصفها تعبيرًا حيًّا عن التنوع اللغوي والثقافي في مختلف القصور بتوات، غير أن لكل سياق لغوي مجاله. ثم إن هذا التكامل بين المستويين اللسانيين (الفصيح والعامّي) يثري التراث الثقافي بتوات، ويحقق التوازن بين صون الأصول اللسانية الفصيحة واحترام التطورات اللهجية المحلية.

2.2. أهمية البحث الرصين في تاريخ توات والتشجيع عليه

على الرغم من الأهمية التاريخية والاجتماعية لمنطقة توات، يلاحظ الباحث غيابًا شبه تامٍ لمؤلفات منهجية متخصصة في علم الأنساب وتاريخ الهجرات القبلية من وإلى توات. فالمكتبة التَوَاتِيّة تفتقر إلى مصادر ومراجع أكاديمية موثوقة، تحدد بدقة تواريخ انتقال القبائل والعائلات، أو تتبع أصولها الطينية والجغرافية، أو توثق مراحل استقرارها في قصور توات الكثيرة. ويا للأسف، لقد أدى هذا الواقع إلى إهمال حفظ وتوثيق التاريخ المحلي لقصور توات، فضاعت تفاصيل كثيرة ولم يبق إلا النزر اليسير من المعلومات. أما ما تداوله الناس من روايات شفهية، فظل حبيس المجالس الأسرية والاجتماعية كحكايات تروى للاستئناس، دون أن تخضع لتمحيص منطقي عقلاني أو توثيق علمي دقيق، مما أحدث فراغًا كبيرًا في فهم التطور الديموغرافي والاجتماعي لقصور توات.

وتعزى فجوة التوثيق التاريخي للقصور التواتية إلى عدة عوامل متشابكة، يأتي في مقدمتها انشغال المجتمع التواتي فيما مضى بضرورات الحياة اليومية في بيئة صحراوية قاسية، حيث طغت هموم تأمين الغذاء والمأوى على الاهتمام والتفرغ لتدوين التاريخ. ثم إن إهمال الأجيال المتعاقبة للحفظ المنهجي لماضي الأسلاف كان مما زاد الطين بلة، فأسهم ذلك في تضييع كثير من الوقائع التاريخية والعلمية والثقافية في توات. ويعد استمرار هذا الوضع ضربًا من الإجحاف في زمننا الراهن، خاصة وأن وسائل البحث وأسبابه باتت متوفرة، باستثناء بعض المحاولات المقتصرة على جهود فردية متفرقة تتفاوت في قيمتها بين محاولات جادة تستحق التثمين والتشجيع، وأخرى تفتقر إلى الأسس العلمية الرصينة

وبحاجة إلى مراجعة ومناقشة موضوعية. وكل هذه الأسباب وغيرها أسفرت عن ضياع قسم كبير من الذاكرة التاريخية والعلمية والثقافية لأقاليم توات وقصورها العريقة.

لذا، فإن جل من يكتب عن تاريخ توات وقصورها، لاسيما في ظل ندرة المصادر الموثوقة وشبه انعدام أو تعتيم للمخطوطات التاريخية القديمة، إنما يكتب على سبيل التقريب والتخمين لا التأكيد واليقين فيما يظن. ولهذا السبب نجد أن تاريخ توات المنسي أو المسكوت عنه يفوق بكثير ما سطرته أقلام الباحثين والمؤرخين على مر العصور، قديمًا وحديثًا!

وإذا ما نظرنا بكل موضوعية في هذا الجانب نجد أن بعض الجهود التوثيقية، على ما تحمله من قيمة علمية وإضافة نوعية، بحاجة إلى تمحيص موضوعي دقيق وتقويم منهجي وتحقيق، للتحسين من جودة مضمونها؛ إذ لا يخلو أي عمل بشري من نقص وزلل. وهذا لا ينقص، على كل حال، من قيمة أي عمل، إن وقعت الأخطاء سهوًا، وما دامت قابلة للتعديل، شريطة أن تخضع لمراجعة علمية رصينة، تتيح تصحيح ما يمكن تداركه من زلات، وتقويم ما يحتاج إلى تقويمه من أخطاء علمية وتجاوزات. ومن بين الأمثلة أذكر كتاب أمي توات (بن جعفري، 2023)، الذي حظي بفضل السبق في توثيق الموروث الشفوي لبعض القصور التواتية والعادات، إلا أن الاعتماد الكبير على الروايات المتواترة دون تمييز وتحرٍ لصحتها أوقع صاحبه في بعض المغالطات التاريخية والهفوات، خاصة تلك المتعلقة بتاريخ قصور معينة مثل قصر أَنْزَجْمِيرَ وقصري المَحْفُوظِ وتِيدْمَايَنَ بتوات.[1]

[1] لم يوفق بن جعفري (2023: 102-103) في ضبط تام لتواريخ تلكم القصور وأخبارها، فبعض الوقائع والمعلومات ليست صحيحة وتحتاج إلى تصويب. ففي معرض الحديث عن قصر المحفوظ مثلًا، أخطأ حين نقل أن الشيخة عائشة (عيشة) البرمكية زوجة مولاي امحمد عكرمة؛ والصحيح أنها أم زوجته، وإنما تزوج عكرمة إحدى بناتها. أما الشيخة عائشة -التي اشتهرت ببركتها وفطانتها وسعة رزقها– فهي زوجة سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري الودغيري الإدريسي، المتصف بالعلم والصلاح والتصوف. لكن على عكس زوجته الشيخة عائشة التي نشر الله ذكرها، كان سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري ممن ستر ذكرهم عن الناس. وقد امتد نفوذ مشيخة هذه الأسرة التَّنورية الودغيرية الإدريسية التواتية خلال القرن الثاني عشر الهجري من بور السابع بقصر أظوى إلى مدخل بافكر بقصر أوغزير، وكانت الشيخة عائشة البرمكية تتصدر المشهد بمقرهم الرئيسي بقصر أنزجمير آنذاك. وبعد وفاة الآباء، انتقلت مقاليد المشيخة إلى الأبناء السادة الشيوخ الثلاثة: سيدي الشيخ بلة، وسيدي الشيخ عبد الوافي، وسيدي الشيخ محمد؛ وكلهم شيوخ زعامة عدا سيدي الشيخ محمد الذي جمع بين مشيخة العلم والزعامة. ثم تحولت المشيخة إلى القيادة وكانت في ذرية سيدي الشيخ بلة ابن سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري، حيث اتخذوا آنذاك من قصبة القائد بأنزجمير مقرا لهم، قبل أن تنتقل القيادة إلى قصر تيطاوين الخراص في آخر أيام هذا النظام

وكذلك الحال بالنسبة لكتاب السباعي (2022)، السباعيون عبر العصور، الذي يعد من المحاولات التوثيقية الجادة في الأنساب، غير أنه وقع في ثغرة منهجية واضحة تمثلت في إغفال حقبة تاريخية حاسمة من تاريخ قصر أنزجمير العريق، وتحديدًا ما يتعلق بذرية سيدي الشيخ الحاج أحمد التَّنوري الودغيري الإدريسي وزوجه الشيخة عائشة البرمكية رحمهما الله (عبد الوافي، 2023: 3-5؛ 2025ب)؛[1] لذا تحتاج مثل هذه الأعمال الأكاديمية المفيدة إلى دراسة نقدية موضوعية شاملة، تتضمن تحقيقًا علميًا دقيقًا، وغربلة منهجية للروايات وبعض الجزئيات، لتصويب ما نشر من خبر وتكملة النقائص التاريخية الهامة الصحيحة.

وأرغب في هذا الصدد أن أؤكد بكل وضوح وموضوعية أن الغرض من هذه الملاحظات النقدية البناءة ليس التقليل من قيمة الأعمال العلمية التي تشوبها نقائص غير

(عبد الوافي، 2023: 3-5؛ 2025ب). لكن هذه المرحلة لم تدم طويلا، حيث زال هذا النظام السياسي مع نهاية الاحتلال واستقلال الجزائر الحرة، رحم الله الشهداء الأبرار وبارك في أهل الجزائر الأحرار.

[1] يستوجب التنويه هنا تصحيحًا تاريخيًا بالغ الأهمية يتعلق بإعادة عمارة بلدة أنزجمير الحالية وتأسيس قصر أنزجمير الفوقاني، حيث أغفل السباعي (2020: 69-70) المؤسس الفعلي له، وهو سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري الودغيري الإدريسي الذي أعاد عمارة أنزجمير في حدود القرن الثاني عشر الهجري بعد أن ظلت أرضه خرابًا نحو ستين عامًا إثر رحيل السباعيين الأدارسة من أرضه، فكان آخر من غادرها السيد عبد المومن الذي انتقل إلى قصر تيدماين. لذا فإن إعادة عمارة قصر أنزجمير تعود للشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري الودغيري الإدريسي، فانتعش القصر وعادة له الحياة مذاك الحين إلى يومنا هذا (عبد الوافي، 2023: 3-5؛ 2025ب). أما الأنصار، فلقد جاء جدهم سيدي الشيخ عبد الرحمن الزجلاوي الأنصاري إلى قصر أنزجمير لاحقا بدعوة من سيدي الشيخ محمد التنوري ابن سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري الودغيري الإدريسي، حِبه وزميله في الدراسة عند شيخهما سيدي الشيخ الونقالي، بعدما سلكا طريقًا طويلًا في طلب العلم ذهبا ليزودا من فيوضاته التماسا للبركة (قصباوي، 2013: 36). وقد كرس الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي الأنصاري والشيخ سيدي محمد التنوري الودغيري الإدريسي حياتهما لتعليم أبناء المنطقة أمور دينهم. وبحمد الله، استمرت بركة مسيرة الرباط هذه في سبيل العلم وخدمة أهله لدى ذرية الشيخ سيدي محمد التنوري الودغيري الإدريسي ردحًا من الزمان بينما توارثها الأنصار إلى يومنا هذا. و لا تزال منارات العلم قائمة، ببركة رجال ذلك العصر التي وهبهم إياها المولى الكريم. وتتجلى هذه المنارات في مدرسة سيدي الشيخ الحاج الحسن الأنصاري بأنزجمير الفوقاني ومدرسة سيدي الشيخ الحاج أحمد المغيلي بأنزجمير التحتاني، ومدرسة الشيخ سيدي الحاج محمد المكي بأدرار (وهو من ذرية سيدي الشيخ الحاج أحمد التنوري الودغيري الإدريسي). وقد بدأ جميع هؤلاء السادة الرجال طلب العلم وحفظ القرآن في كتّاب قصر أنزجمير التحتاني على يد شيخهم سيدي الحاج أحمد ابن سيدي عبد الرحمن الأنصاري رحمه الله، ثم تبحروا في العلم على يد سيدي الشيخ المربي الحاج محمد بلكبير الأموي رحمه الله، فكانوا من خيرة تلامذته. لقد تفانوا في خدمة شيخهم ومحبته فأصبحوا من العلماء الأفذاذ الربانيين الذين ذاع صيتهم في توات. اشتغلوا بالعلم وتزينوا بالحلم وطلقوا الدنيا ثلاثًا، فانتفع الناس بعلومهم وبركاتهم. ولا غرو في ذلك، إذ تأسوا بشيخهم وساروا على نهجه وخطاه، فهم امتداد حقيقي للمدرسة البلكبيرية المباركة، التي أشرقت بأنوار العلم والهدى في ربوع الجزائر وخارجها.

مقصودة، بل السعي نحو تصويبها وتطويرها وفق المنهجية الأكاديمية الرصينة المطلوبة. ففي التقاليد العلمية العالمية، تعد عمليات المراجعة والنقد البناء أدوات أساسية لضبط جودة البحث العلمي، حيث يتاح للباحثين تحسين أعمالهم عبر إعادة نشر طبعات منقحة (للكتب مثلًا) أو دراسات لاحقة (كالمقالات ونحوها). ويعتبر اعتراف الباحث بأخطاء سابقة، إن وجدت بأي عمل أو شكل من الأشكال، مظهرًا من مظاهر النزاهة العلمية والرصانة المنهجية. غير أن نجاح هذا المنهج النقدي الهادف يتطلب التزامًا صارمًا بالموضوعية والبعد عن الذاتية والتعصب للرأي، مع التركيز على النقد البناء الممنهج بدلًا من النقد الهدام المؤدلج. وبهذا المنطق العلمي المتوازن، يمكن لهذا النهج النقدي -إذا ما طُبّق بكل روح علمية موضوعية- أن يسهم في رفع مستوى البحث التاريخي بتوات، ويعزز مصداقية الدراسات الأكاديمية، مع الحفاظ على أدب الاحترام المتبادل، بسلامة قلب ورحابة صدر وصفاء ذهن ولين عبارة بين الباحثين. فجوهر العمل الأكاديمي يكمن في صدق ونزاهة السعي المشترك نحو الحقيقة العلمية الموضوعية، وحفظ التراث البحثي من الشوائب والأخطاء.

لذا فإن من الأهمية بمكان التشجيع على ثقافة المراجعة الأكاديمية والنقد البناء في الأوساط العلمية، وهي ضرورة علمية ملحّة لضمان جودة المخرجات البحثية والمنشورات الأكاديمية. ويتحقق ذلك مثلًا من خلال إرساء منظومة متكاملة، تبدأ بتشكيل فرق تحرير متخصصة في دور النشر لتقوم بتحكيم الأعمال بكل موضوعية ووفق معايير علمية دقيقة قبل إصدارها. كما ينبغي للمجلات العلمية استقطاب خبراء متخصصين لتقويم المقالات والبحوث عبر مراجعات نقدية مركزة هادفة، تبرز نقاط القوة وتشير إلى مواطن الضعف، مما يتيح للباحثين فرصة تصحيح أخطائهم إن وجدت وتحسين مخرجات مؤلفاتهم في طبعات جديدة أو منشورات لاحقة. إن مثل هذه الآليات العلمية الرصينة تعزز من رفع مستوى المنشورات الأكاديمية سواء أكانت بالعربية أو بغيرها من الألسن المختلفة؛ وتضفي بلا شك مصداقية للبحث العلمي، مع الحفاظ على أخلاقيات النقد البناء الذي يهدف إلى التصحيح لا التجريح. ويتجلى لبّ هذه المنظومة في التمسك والالتزام بروح النقد الأكاديمي وأخلاقياته التي تنشد التصويب البناء والتحسن المستدام، سعيًا لبلوغ الغاية العليا المتمثلة في إنتاج معرفة علمية متينة الأسس. فمثل هذه المعرفة الرصينة من شأنها

أن تهيأ أرضية خصبة للحوار العلمي العالمي المتزن، بل تعد حجر أساس لدفع عجلة البحث العلمي والتوثيق والمضي قدمًا في هذا المجال.

3. أوغزير ووليها الصالح سيد الحاج امحمد الأوغزيري

إن قصر أُوغْزِيرَ، الواقع على بُعد 21 كيلومترًا عن دائرة زاوية كُنْتَةْ و96 كيلومترًا جنوب مقر ولاية أدرار، يعد من أقدم القصور التاريخية في إقليم توات. غير أن تاريخه، شأنه شأن معظم قصور التواتية، يكتنفه الغموض بسبب شح المصادر التاريخية الموثوقة، سواء أكانت وثائق علمية أو روايات شفوية متواترة. وتتعمق هذه الإشكالية مع انعدام المخطوطات المحلية التي تسلط الضوء على مراحل تطوره التاريخية والجغرافية عبر الأزمنة الفارطة المنسية.

وإذا ما أخذنا كل هذه الأسباب بعين الاعتبار، نجد أن المعرفة التاريخية والجغرافية المتاحة، لحد كتابة هذه الأسطر، حول قصر أوغزير محصورة في نطاقين رئيسين. أولًا، إثبات امتداد النفوذ التاريخي لقصر أوغزير العتيق ليشمل منطقة قصر تيطاوين الشرفاء المجاور له، حيث لا تزال تلك البقايا المعمارية الهشة الآيلة للزوال (وعلى رأسها قصبة أوغزير القديمة الواقعة ضمن حدود تِيطَّاوِين الشُّرَفَاء الحالية) تشكل شواهد مادية على تلك الحقبة التاريخية. ثانيًا، احتمال أن تكون رقعة وجغرافية قصر تيطاوين الشرفاء الحالي هي ذات الحدود التاريخية الجغرافية الأصلية لقصر أوغزير القديم؛ وهذا ما يجعل من هذه الشواهد المعمارية المتبقية وثائق حجرية، تسجل فصلًا من تاريخ المنطقة المادي والسياسي، رغم شح المصادر المكتوبة التي توثق بعناية تامة مثل هذه الشؤون والتفاصيل.

1.3. أصول سيد الحاج امحمد الأوغزيري وذريته ونسبه

لم أجد، قبل كتابة هذه السطور، ما يدوّن جانبًا مفصلاً من حياة هذا الولي الصالح، سيد الحاج أمحمد الأوغزيري[1] رحمه الله. لكن بعد محاولات جادة، وفقني الله لبعض تفاصيل حياة أجداده وهجراتهم وكيف دخلوا إلى أرض توات. فأقول مستعينًا بالله: إن أصول أجداد سيد الحاج أمحمد الأوغزيري الأُوَل من بغداد بالعراق، ومنها هاجروا إلى

[1] نقول: قصر أوغزير وفلان الأوغزيري، وهو المشهور والأصح كتابة. ونقول: قصر أغزير وفلان الأغزيري، كما يكتب أهل أولف. ونقول: قصر وغزير وفلان الوغزيري، وهو ما اشتهر عند عامة الناس. وكل التسميات مقبولة وسليمة، لكن الأصح هو ما رجحته آنفًا، أي: قصر أوغزير وفلان الأوغزيري. والله أعلم.

القاهرة بمصر، ثم إلى فاس بالمملكة المغربية، ثم أخيرًا إلى الجزائر مرورًا بالساقية الحمراء، فاستقروا بتوات، بقصر بودة بولاية أدرار.[1] ومن بودة انتقل أجداد سيد الحاج أمحمد الأوغزيري إلى قصر أوغزير ببلدية أنزجمير، دائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، فبها استقروا وانتشرت لهم الذرية بأرضها، وفيهم الخير والوفرة ما شاء الله إلى يومنا هذا.

تتوزع ذرية الولي الصالح سيد الحاج أمحمد الأوغزيري رحمه الله، في قصر أوغزير وقصر الخلفي الجاور له، وغيرها من القصور والمناطق داخل ولاية أدرار وخارجها، عبر عائلات متنوعة تحمل ألقابًا مدنية متعددة تشهد على امتداد أصولهم وفروعهم الكريمة، وتشمل: أولاد جعفري، جعفري، عباسي، ولد هدي، وجكاني. وينقسم حاملو لقب جكاني إلى فرعين هما: عائلة أولاد اباحاجي الذين كانوا إلى وقت قريب يحملون اللقب جعفري ثم اباحاجي، قبل أن يلتصق بهم لقبهم المدني الحالي جكاني،[2] لكنهم إلى الآن يشتهرون ويحافظون على لقب اباحاجي بقصر أوغزير، وعائلة أولاد عبد الرحمن التي عرفت محليًا بلقب الطالب بسبب تخصص رجالها في العلوم الشرعية والتدريس في قصر أوغزير قديمًا. وقد التصق بهم أيضًا لقب جكاني مدنيًا. ومن عائلة أولاد عبد الرحمن هاجر أحد الرجال إلى تيميمون، ومنه تفرعت عائلته هناك وهم يحملون لقب الوغزيري.

وفي قصر أولاد بوحفص، بلدية أولاد أحمد بتيمي، دائرة وولاية أدرار بالجنوب الغربي الجزائري، يتواجد أحفاد سيد الحاج امحمد الأوغزيري ولقبهم المدني: بن بّا. وهم أصحاب قصبة أولاد بن بّا بذات القصر، التي تشهد على تواجدهم التاريخي بالمنطقة، ولهم تفرعات عائلية -ما شاء الله- منتشرة هناك. وتفرعت منهم عائلة بقصر تسفاوت، بلدية فنوغيل، ولاية ادرار، ولقبهم المدني: بريشي.

[1] أشار إليه أ. ع. عباسي (اتصال شخصي، 3 ماي 2026م)، وهو ما سمعه من جده وعمه، أحفاد سيد الحاج امحمد الأوغزيري، وكانا خبيرين في نسب العائلة، ومن القائمين على خزانتهم العائلية بأولف.

[2] والظاهر أن هذا اللقب (جكاني) التصق بهم مدنيًا بسبب شخص يدعى الحاج محمد الجكاني، الذي اشتهر بلقب الجكاني قبل ظهور الحالة المدنية واعتماد قانون الألقاب الجزائرية. وكان شخصًا كثير الترحال، فقد زار تونس والمغرب وحج بيت الله الحرام، وهو الذي أتى بالقبة والراية (الخاصة بعَلَم سيد الحاج امحمد الأوغزيري) من بلاد الحرمين الشريفين (م. عباسي، اتصال شخصي في 13 جوان 2026م).

هذا ويتواجد أيضًا أحفاد لسيد الحاج أمحمد الأوغزيري في أولف (التي تبعد حوالي 240 كيلومترًا عن مقر ولاية أدرار)، وهم من ذرية سيدي عومر بن أحمد بن يوسف بن سيد الحاج أمحمد الأوغزيري، الذي كان إمامًا ومعلم قرآن وصاحب علم وجاه في أوغزير قبل وبعد انتقاله إلى أولف، فهناك استمر في التعليم والإمامة بالمسجد العتيق، ولا يزال أحفاده يستخلفون إمامة المسجد العتيق في حي الجديد بأولف، إذ تعاقب على الإمامة ثمانية خلفاء إلى يومنا هذا.

وعند هجرة سيدي عومر، أخذ معه كل المخطوطات والمعاملات المسجلة في حياة أجداده بأوغزير إلى أولف، حيث توجد اليوم تلك الخزانة. لقد تضمنت مخطوطات أوغزير، لكنها تهالكت بفعل نكبات الأمطار المتتالية سنوات 1965م، 1990م، 2009م، وفيضان مياه الخزان المائي في أولف في البيت الذي كان يضم تلك الخزانة العامرة بنفائس المخطوطات، فضاع كثير من التاريخ والعلم والتراث (أ. ع. عباسي، اتصال شخصي، 3 ماي 2026م).

وألقاب حفدة سيد الحاج أمحمد الأوغزيري بأولف: عباسي. اشتهروا بكتابة الأرسام وتدوين المعاملات من بيع وشراء وغير ذلك مما هو معروف، وكانوا إذ ذاك يوقعون على الوثائق بلقب الأغزيري. ولسيدي عومر حفيد من أبنائه انتقل إلى العيش في مدينة ورقلة، وعائلته تحمل لقب زرقون.

ويحتمل أيضًا وجود فروع أخرى من ذرية سيد الحاج أمحمد الأوغزيري لم تُوثَّق بعد، إلا أن أشهر العائلات المعروفة اليوم هم من تقدم ذكرهم بأوغزير والخلفي، ومن تفرع عنهم بأولف، وأولاد بوحفص، وأدرار، وتيميمون، وورقلة، وغيرها، والله تعالى أعلم. وحتى لا نحجر واسعًا، أترك المجال مفتوحًا لأبحاث أخرى توسعية من شأنها تتبع فروع هذا الولي الصالح مستقبلًا.

أما نسب الولي الصالح سيد الحاج امحمد الأوغزيري فينتهي إلى السلالة الزينبية الجعفرية الطيارية الهاشمية القرشية. ولا ريب في صحة ذلك، إذ هو المتواتر عندنا في توات بشهرة واستفاضة، أي أن نسبه الشريف يتصل بسيدي علي الزينبي ابن سيدنا عبد

الله ابن سيدنا جعفر الطيار رضي الله عنهم جميعا.[1] ولقب سيدنا علي بن عبد الله بالزينبي واشتهر بهذا الاسم لأن أمه السيدة زينب بنت سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها، بضعة الرسول سيدنا محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم.[2] ويشترك مع سيد الحاج امحمد الأوغزيري في هذا النسب الزينبي الجعفري الطياري الشريف سيد البوحامدي[3] (عبد الوافي، 2025أ).

[1] غير أن حفدة سيد الحاج امحمد الأوغزيري بأولف يزعمون أن نسبه ينتهي إلى سيدنا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (أ. ع. عباسي، اتصال شخصي، 3 ماي 2026م). لكني لم أجد ما يثبت صحة ذلك، لأنهم في شجرة نسبهم الموثقة التي يحتفظون بها، وقد اطلعت عليها، يرفعون سيد الحاج امحمد الأوغزيري إلى كذا جد ثم يتوقفون، وهي غير كاملة، كما في تقييد عمود نسب امباركة صاحبة زاوية الحشف برقان: امباركة بنت أباحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الحاج يوسف بن سيد الحاج امحمد الأوغزيري بن العباس بن أحمد بن خالد بن عيسى بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن خالد بن هداج بن معطل بن معقب بن محمد (الأغزيري، 1387هـ/1967م). وأيًا يكن نسب سيد الحاج امحمد الأوغزيري رحمه الله، والله أعلم بالصواب، أجعفريًا زينبيًا طياريًا أم عباسيًا، فهو في كلا الحالتين قرشي هاشمي، أي ينتسب هو وذريته إلى آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. لكنني أرجح وأميل إلى ما اشتهر واستفاض عند حفدته في قصر أوغزير، أي أنهم جعافرة زيانية، النسب الذي يعلمه القاصي والداني في قصور توات.

[2] إنّ مسألة تسويد اسم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم (أي إضافة لفظ *سيدنا* عند ذكره) مسألة ثابتة في حق جنابه الشريف، دل عليها الشرع وأكدها الأدب. وقد أفرد العلامة المحقق سيدي أحمد بن الصديق الغماري الحسني (2002) رضي الله عنه رسالة نفيسة بعنوان: *تشنيف الآذان بأدلة استحباب السيادة عند اسمه صلى الله عليه وسلم في الصلاة والإقامة والأذان*، استنبط فيها بأكثر من أربعين دليلًا شرعيًا استحباب التسييد، تعظيمًا لمقامه صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا الأدب النبوي تجسد في عادات أهل المغرب العربي عمومًا الذين اعتادوا مناداة كل من يحمل اسم محمد بلقب *السّي* (أي سيدي)، بل ينادون الغرباء بالسّي محمد تأدبًا وتبركًا واحترامًا. وكان العجائز من أهل التقى إذا سمعوا هذا النداء بادروا بالصلاة على سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56)، وفرارًا من وصف البخلاء الذين إذا ما ذكر اسم سيدنا محمد بن عبد الله لم يصلوا عليه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله. ولم يقتصر هذا الأدب على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل شمل آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، فكلما ذُكر أحد منهم أضيفت إليه السيادة توقيرًا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم واعترافًا بفضلهم (فيقال للشريف مثلًا: *سيدي، مولاي، السي، وسيدنا*، وللشريفة *لالة*، الخ). وفي توات خاصة، اعتاد الناس على مناداة المشايخ والعلماء من أرباب التقوى والصلاح *بسيدي وسيدنا*، تأدبًا معهم واعترافًا بفضلهم كوارثين لأنوار النبوة وهدي سيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا كله من مكارم الأخلاق التي حث عليها ديننا الحنيف، إذ تكريم المشايخ الربانيين إجلال للدين، واحترام أهل العلم والتقوى والصلاح تبجيل لشرع الله تعالى، وتبجيل آل البيت من تعظيم جلال الله.

[3] يتصل نسب الولي الصالح سيدي أبي حامد (المشهور بسيد البوحامدي والمدفون بقصر بوحامد في زاجلو التابعة لزاوية كنتة بأدرار) بالسلالة الجعفرية الطيارية الشريفة. ولقد قيد شجرة المرابطين الجعافرة الأشراف من ذرية سيد البوحامدي بأرض توات المرابط عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيّد بن محمد بن سيدي محمد بن الحاج بن جعفر بن سيدي أحمد الفقيه بن سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج محمد بن أبي زيان بن محمد بن علي بن أبي حامد. وتكملة نسب سيد البوحامدي هي: أبي حامد بن عمرة بن خليل بن أمسك بن عمر بن خليل (هنا افترق نسبهم ونسب أهل وجلان بأرض

ولشرف قرابتهم المباشرة من السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، اشتهر أبناء سيدنا علي الزينبي بالزيانبة الجعفريين، تمييزًا لفضلهم عن باقي فروع السادة الجعافرة الطيارين. وقد أفرد الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (1994) لهذه الذرية الطيبة مؤلفًا خاصًا بعنوان العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية. سلط في كتابه الوجيز المبارك هذا الضوء على فضائل هذه السلالة الزينبية الجعفرية الطيارية الهاشمية القرشية الشريفة ومكانتها، مبينًا ما حظيت به من خصوصية بسبب اتصالها المباشر ببضعة المصطفى الرسول، سيد ولد آدم، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم. إن هذا النسب الشريف جعل هذه السلالة الطيبة المعروفة بالمرابطين بقصور توات تحظى بمكانة خاصة عند أهل توات والمحبين لآل النبي عمومًا كالتي تحظى بها الذرية الشريفة الطاهرة لأبناء سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما، سيِّدَيْ شباب أهل الجنة، عند المسلمين في سائر أقطار العالم.

أما العلاقات النسبية بين الأسر الزينبية الجعفرية بقصري أوغزير وتيلولين فيكتنفها بعض الغموض التاريخي، لاسيما المتعلق بالصلة الدقيقة بين الوليين الصالحين سيد الحاج امحمد الأوغزيري بقصر أوغزير وسيدي امحمد بن بوزيان الجعفري التيلوليني بقصر تيلولين. فبينما تتعارض الروايات الشفوية في تحديد أيهما يكون خالًا للآخر (وإن كان الراجح هو أن سيد الحاج امحمد الأوغزيري بقصر أوغزير خال سيدي امحمد بن بوزيان الجعفري التيلوليني بقصر تيلولين) يظل الجدل قائمًا حول أسبقية تأسيس

تسابيت) بن ميمون بن أحمد بن ميمون بن عبد الله بن أبي جامع بن طلحة بن سليمان بن يوسف بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن الحسن بن يحيى بن زياد بن عيسى بن سلوم بن مسكة بن سرت ذريب بن هيام بن طالب بن الحسن بن هياد بن أحمد بن سلطان بن كنانة بن خول بن ولا بن أبي إياد بن ولا بن وشلان بن علي بن الحسن (بن موسى الخفاجي بن جعفر الأمير بالحجاز بن ابراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم إلى عدنان؛ لقوله: (لا ترفعوني فوق عدنان). وجدت من خط الفقيه سيدي محمد بن سيدي جعفر بن الفقيه التيلوليني؛ وجدها في خزانة جده ووالده سيدي أحمد الفقيه بن الولي الصالح سيدي محمد الفقيه. انتهت بخط الفقيه سيدي الأحسن البكري رحمه الله آمين. انتهت على يد ناقلها الفقيه سيدي محمد البركة بن الحاج محمد التمنطيطي، وكتب ناقلها: في أواخر شوال سنة إحدى وسبعين بعد ثلاثمائة وألف هجرية، عبيد ربه عبد الرحمان بن محمد السالم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم البوحامدي أمنه الله. انتهت وقوبلت حرفًا بحرف بالتصحيح بخط أحمد بن امحمد بن عبد الرحمان بن خليل بن الحاج عبد الكريم بن الحاج محمد بن عبد الرحمان بن عومر بن علي بن الحاج محمد بن أبي زيان. نقلت يوم 15 ربيع الثاني سنة واحد وأربعمائة وألف هجرية (اطلعت على النسخة يوم الثلاثاء 10 شوال 1446هـ الموافق لـ 08 أبريل 2025، على الساعة 11:43، جزى الله من أرانيها كل خير). فرحم الله السلف وبارك في الخلف.

القصرين: آوغزير أم تيلولين؟ وإن كان الرأي الراجح -في ظل غياب الوثائق الحاسمة- يميل إلى أقدمية نسبية لقصر أوغزير، إلا أن يتبين لاحقًا ما قد يثبت صحة هذا القول أو ينفيه، والله أعلم.

ولا زال الجدل التاريخي قائمًا حول الامتداد الجغرافي الأصلي لقصر أوغزير في زمن مضى، إذ يفترض أن حدوده القديمة ربما شملت منطقة تيطاوين الشرفاء الحالية. وتشهد على ذلك الآثار الباقية من قصبة أوغزير الأصلية في قصر تيطاوين الشرفاء، والتي تعتبر دليلًا على أن القصرين كانا يشكلان تجمعًا سكانيًا واحدًا في حقبة تاريخية مضت. ثم حدث، في وقت غير معلوم على وجه التحديد، انتقال سكاني من قصبة أوغزير الأصلية بتيطاوين الشرفاء إلى الموقع الحالي لأوغزير، مما أدى إلى استحداث قصرين منفصلين: قصر أوغزير العريق وقصر تيطاوين الشرفاء الحديث. لكن هذه الفرضية تثير أسئلة تاريخية مهمة قد نجد أو لا نجد لها أجوبة مستقبلًا مثل:

أ- ما طبيعة وشروط هذا الانتقال السكاني؟

ب- ما الأسباب الكامنة وراء هجرة القصبة الأصلية لأوغزير بتيطاوين الشرفاء؟

ت- ثم في أي فترة زمنية حدث هذا الانتقال؟

بيد أن هذه الاستنتاجات تندرج ضمن إطار الفرضيات القابلة للمراجعة لا الحقائق المسَلّم بها، على أمل اكتشاف وثائق حاسمة أو أدلة مادية قاطعة، وإن بدا الحصول عليها عسيرًا من المنظور التاريخي الأكاديمي وفي ظل المؤشرات التي توحي بصعوبة ذلك. على كل، يظل وجود أطلال قصبة أوغزير القديمة في تيطاوين الشرفاء شاهدًا ماديًا يستدعي بحثًا أثريًا متخصصًا ودراسة أنثروبولوجية معمقة لفك طلاسم هذه الحقبة الزمنية الغامضة. ويبقى هذا الغموض التاريخي، رغم أهميته، ثانويًا أمام الحقيقة الثابتة لتواتر النسب الطيني الزينبي الجعفري الطياري المشترك الذي يشكل عروة وثقى تربط مرابطي كل من قصر أوغزير وقصر تيلولين، ممثلًا ركيزة أساسية للتماسك الاجتماعي والروحي بين أهل القصرين. أما تيطاوين الشرفاء، رغم حداثتها النسبية، فقد نسجت مع أوغزير عبر القرون شبكة متينة من العلاقات القائمة على القرابة والنسب والمصاهرة، مما يؤكد أن التمايز الزمني في النشأة لم يحل دون تشابك أوصار القربى والمحبة التي استمرت حتى يومنا هذا عبر الأجيال المتعاقبة التي نشأت وعاشت بهذين القصرين.

وتجدر الإشارة ها هنا إلى العلاقة الوطيدة التي تربط بين عائلات قصري أوغزير وتيطاوين الشرفاء، المتجلية في التقاليد الاجتماعية والروابط الدينية التي تحافظ عليها العائلات لحد الساعة. ففي صباح عيدي الفطر والأضحى، وبعد أداء صلاة العيد، يتجمع أهالي أوغزير خارج المسجد لتحديد موعد زيارتهم الجماعية إلى تيطاوين الشرفاء. وتتم هذه العادة السنوية وفق تقاليد متوارثة، حيث يستقبلهم أهالي تيطاوين الشرفاء، كما يستقبلون بدورهم أهل قصر زاوية بلال المجاور لهم أيضًا، بحفاوة بالغة وسخاء. فيتبادل أهل القصور الثلاثة التهاني، ويتصافح الشيوخ والكبار والصبيان، مع الإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، تعظيمًا لشعائر الله ودين الإسلام. ثم يحل الجميع ضيوفًا بساحات بيوت أهالي تيطاوين الشرفاء، فيتشاركون الملح والطعام في مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي والتآخي الذي حافظت عليه المجتمعات التواتية عبر الأجيال بكل مودة وصفاء. إن هذه العادات الاجتماعية الراسخة تمثل نموذجًا حيًا لصلة الأرحام، وتترجم الترابط التاريخي بين قصور منطقة توات في عز أيام الفرح والزحام. وكلها شاهد ودليل على استمرارية القيم الاجتماعية في الحفاظ على العلاقات الإنسانية رغم تغير الأزمان بربوع القصور التواتية.

2.3. ضريح سيد الحاج امحمد الأوغزيري

إن النسب الزينبي الجعفري الطياري الهاشمي القرشي الشريف للولي الصالح سيد الحاج امحمد الأوغزيري يفسر المكانة الروحية الكبيرة التي يحظى بها ضريحه في المنطقة، حيث يجتمع فيه شرف النسب والوَلاَية، مما جعله محط إجلال وتقدير لأهل توات عبر الأجيال والعصور، مع حفظهم لحدود الشرع في التعامل مع الأولياء والصالحين وتحليهم بآداب زيارة أرباب التقى، أهل الله وخاصته.

يبرز ضريح سيد الحاج امحمد الأوغزيري كصرح روحي وتاريخي أمام المسجد العتيق بقصر أوغزير مخلدًا التزاوج بين الأصالة والحداثة في عمارته. فبينما تحتفظ الجدران الداخلية بطابعها الطيني التقليدي الذي يميز الطراز المحلي، تدعمها هيكلة خارجية حديثة من الإسمنت والحديد لتضمن متانة البناء.[1] وتعلو البناء قبة متوسطة الحجم بنيت

[1] وكان من الأجدر أن يُرمَّم الضريح أو يُوسَّع أو يُعاد بناؤه بما يتناسب مع متطلبات العصر، لا سيما وأن الكثبان الرملية تزحف على جدرانه، والمياه قد نهشت أسسها، مما جعلها تتداعى حتى باتت آيلة إلى السقوط والانهيار على مري الأيام والليالي.

بصفحات حجر، رصت فوق بعضها ولحمت بالطين، وبذا يعكس الضريح في مجمله ذلك التكامل بين ثوابت التراث التواتي ومتطلبات العصر الحديث. هذا ويغطي الضريح برمته طبقة ناصعة من الجير الأبيض، ويتم إعادة طلاء جدرانه وقبته كل عام (وهو ما يعرف عند أهل المنطقة اختصارا بالجْيَارَهْ)، وبالتحديد يوم الفاتح من ماي الذي يتوافق وزيارة الرقاني، مساءً بعد صلاة العصر أين يتم ختم قراءة القرآن (السَّلْكَهْ) على روح سيد الحاج امحمد الأوغزيري صاحب البرهان، وقراءة سلسلة مشايخ الولي الصالح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني من ذرية سيدنا الحسن؛ ويشهد هذا الحدث أهل القصر والزوار رزقنا الله وإياهم المغفرة وجنات الرضوان.

يتميز الضريح بمساحته الداخلية الضيقة التي لا تتسع إلا لبعض الزائرين، وهي تصميم يعكس تواضع سيد الحاج امحمد الأوغزيري صاحب المقام وبساطة الزمن الذي عاش فيه (كما هو الحال بالنسبة لجل الأضرحة بتوات). ويتبع الزوار عند دخولهم آدابًا خاصة تليق بمقام الأولياء، حيث يدخلون بهدوء، بعد تصحيح نية واعتقاد، لتلاوة الفاتحة والدعاء، في جو من الوقار الروحي، مقلبين القلب إلى المنفرد بالبقاء صاحب المنع والعطاء. ولا تقتصر أهمية الضريح على كونه مزارًا فحسب، بل يشكل جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والروحي لمنطقة توات، حيث يحظى بمكانة خاصة لدى أهالي قصر أوغزير والقرى المجاورة الذين يحرصون على زيارته في المناسبات الدينية (كأيام الجمعة والأعياد، وخروج أو رجوع القاصدين بيت الله من المعتمرين أو الحجاج) والاجتماعية (كالزيارات الموسمية).

وتتجلى هذه المكانة بشكل واضح في طقوس الزواج، حيث يقصد العريس الضريح ليلة زواجه برفقة ساكنة القصر من شبابه وشيوخه؛ فيتقدمهم الإمام وأهل العلم وذوو السن والشرفاء. فيردد الجميع قصيدة البردة لسيدي الإمام البوصيري رحمه الله خلال تلك المسيرة وصولًا إلى منزل العريس، أين يختتمون البردة ويدعون له بصلاح الأهل والذرية. ومثل ذلك تفعل العروس، إذ يزف موكبها في ليلة دخلتها إلى حيث تقف السيارات فقط، لكنها لا تصل إلى الضريح ولا تدخله. ثم تعود صبيحة انقضاء الأسبوع الأول من زواجها (أو ما يعرف بسبعة أيام في توات) لتزور الضريح برفقة كوكبة من النساء (ومن بينهم المرأة التي تُسخر لخدمة العروس، وتدعى: لَوْزِرهْ)، كما يفعل العريس كذلك ليلًا بعد صلاة العشاء

(برفقة الرجل الذي يُسخر لخدمته ومرافقته طيلة الأسبوع، ويسمى: لَوْزِير). وهذه الممارسات التي توارثتها الأجيال تؤكد عمق الارتباط بهذه التقاليد الاجتماعية الأصيلة في المنطقة، مع التمسك بالاعتقاد الراسخ بأن الله وحده هو النافع الضار، وأن أولياءه وسائل للتقرب منه والتماس البركة، مما يعكس التكامل بين العقيدة الإسلامية الصحيحة والممارسات العرفية الراسخة في المجتمع التواتي.

4. الولي الصالح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني

هو القطب الرباني، شيخ المشايخ الشريف الهاشمي العدناني، مولاي عبد المالك الرقاني، الولي الصالح ذو البرهان الواضح، الذي نبت من أصلاب طاهرة وترعرع في حجر وَلاية عريقة عطرة. نشأ في كنف والده وشيخه الولي الكبير، الشريف الغطريف العالم النحرير، الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (1093-1148هـ/1682-1735م) صاحب البركات الجمة الشهير، مؤسس الطريقة الرقانية القادرية بتوفيق القدير.

أظهر الشيخ مولاي عبد الله الرقاني منذ طفولته بقرية تاوريرت برقان علامات النبوغ والصلاح. فلقد أتم حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم تتلمذ على يد شيوخ عصره كالشيخ سيدي محمد المصطفى بن عبد المؤمن بزاوية كنتة، وسيدي أحمد الصوفي الرقادي شيخ الزاوية الكنتية القادرية، الذي أعجب به لنبوغه وسرعة بديهته في الفهم والحفظ، وحرصه على طلب العلم. فقال فيه كلمة حق: "سترون لهذا الشريف من ظهور الكرامات وخوارق العادات ما لا يدخل تحت الحصر" (بن عمر، د.ت.: 17). ولقد كان كما قال شيخه، حيث بلغ الشيخ مولاي عبد الله الرقاني مقامًا ساميًا في العلم والتصوف؛ فطار صيته في كافة الأرجاء، وأشرق سره كالبدر الوضاح في الليلة الظلماء، ينير الدرب للسالكين، ويهدي الحائرين إلى طريق الحق المبين. وللشيخ مولاي عبد الله الرقاني أبناء امتدت فروع عائلاتهم بتوات، وهم: مولاي السعيد، ومولاي العباس، ومولاي الشريف، ومولاي عبد القادر (الذي لم يخلف أبناءً)، وعلى رأسهم أخوهم الأكبر، الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، خليفة والده في العلم والتربية والتصوف (غيتاوي، ج. 1، 2001: 34؛ جعفري، 2007أ: 329، جعفري، 2017: 4).

لقد ورث الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني عن والده الشيخ مولاي عبد الله الرقاني تلك الأخلاق الرفيعة والشمائل المحمدية الكريمة، من جود وتواضع وشفقة على الضعفاء، مع التمسك بالعقيدة الأشعرية والسنة النبوية الغراء. فتلقى العلم على يد والده في علوم

الشريعة والتصوف، حتى أصبح خليفته في تسيير شؤون الزاوية الرقانية. وبعد انتقال والده، رحمهما الله، إلى الرفيق الأعلى سنة 1148هـ/1735م، حمل اللواء الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، وبذلك يعد مؤسس الطريقة الرقانية القادرية الثاني. وقد اشتهر في عهده أمر الزاوية وانتشر ذكر الطريقة الرقانية، وذاع صيتهما، محافظًا على المنهج القويم في التربية والسلوك (جعفري، 2017: 3-5). ولا تزال زاوية الرقاني حتى اليوم شاهدًا على استمرارية هذا الإرث الروحي والعلمي عبر الأجيال. ففي الفاتح من ماي يتم إحياء الذكرى السنوية لزيارة الرقاني عبر حفل ديني مهيب بهيج، تختتم فيه تلاوات القرآن الكريم، وتقام الأذكار والصلوات، ويوزع الطعام وتكثر الخيرات وتعم البركات. ومنذ ذلك الحين ظلت زاوية الرقاني منارة للعلم والتربية، ولا زال يقصدها الزوار وأهل النيات الحسنة من كل حدب وصوب إلى يومنا هذا لعلهم يرجعون بقبس من نور تلكم الأنوار أو تحفهم رحمة العزيز الغفار ببركة هاتيك الأسرار بتلكم الديار.

1.4. نسب الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني

يتصل نسب الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني بالدوحة النبوية الشريفة، فهو من ذرية سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وابن بضعته مولاتنا الزهراء الطاهرة العفيفة، رضي اله عنها. أما عمود نسبه الشريف كاملًا كما هو موثق (غيتاوي ج. 1، 2001: 21) فهو: الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني بن مولاي عبد الله بن مولاي علي بن مولاي الزين بن مولاي محمد (المعروف بالسي حمو بلحاج الذي دخل إلى توات في حدود 1035هـ/1626م) بن مولاي الحاج (الحسن) بن مولاي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي محمد الحاج الكبير البوعمامي الفيلالي، ابن مولاي علي الشريف بن مولاي الحسن بن مولاي محمد بن مولاي الحسن الداخل بن مولاي قاسم بن مولاي محمد بن مولاي أبي القاسم بن مولاي محمد بن مولاي محمد بن مولاي الحسن بن مولاي الحسن بن مولاي عبد الله بن مولاي محمد عرفة بن مولاي الحسن بن مولاي أبي الحسن بن مولاي علي بن مولاي الحسن بن مولاي أبي بكر بن مولاي علي بن مولاي الحسن بن مولاي أحمد بن مولاي إسماعيل بن مولاي قاسم بن مولاي محمد النفس الزكية بن مولاي عبد الله الكامل بن مولاي الحسن المثنى بن مولاي الحسن السبط ابن مولانا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، من زوجته مولاتنا فاطمة الزهراء البتول بضعة سيدنا محمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

2.4. ترجمة وجيزة للشيخ مولاي عبد المالك الرقاني

لقد خصه السيد محمد أبو عبد الله الطالب بن أبي بكر، جزاه الله خيرًا، في فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، بترجمة المحب للسادات المشايخ الثقات، المجل لهم والعارف بقدرهم والملتمس منهم البركات؛ فأحببت أن أنقل معانيها ببسيط العبارات، محبة في الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني وتحبيبًا فيه. فمن جملة ما قاله البرتلي (1981: 201-205) عن الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني أنه كان فريد دهره في الوَلاية، مشهودًا له بالفضل عند الخاصة والعامة، بلغ رتبة عالية في الصلاح لم يُنازَع عليها، وعظم صيته في البلاد، وذاع فضله في الأقاليم. نهج في طريق الصلاح والتربية نهجًا فريدًا، فاق ما يُذكر عنه، وبلغ في التحقيق والاجتهاد مبلغًا عظيمًا. واظب على الأذكار والأوراد، فكان يشتغل بالعبادة من صلاة الصبح إلى المساء، ويقوم الليل إلا قليلًا، ولا ينام إلا نزرًا يسيرًا. وكان له خلوة يعتزل فيها للتبتل والعبادة، لا يدخلها أحد إلا خواصه، ملازمًا لها لا يخرج إلا لقضاء حاجة الناس. فلقد ذُكِرَ أنه بقي عشر سنين لا ينام ليلًا ولا نهارًا، وأنه كان يضع سلسلة متصلة بالسقف في عنقه إذا أراد الصلاة لئلا يغفو أو يسهو. ولا تزال السلسلة إلى الآن باقية عند مدخل مسجده، وبه ضريحه الذي يضم أعظمه رحمه الله.

وكان الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني حريصًا على صوم الاثنين والخميس، مداومًا على تلاوة القرآن، وأنه كان يقرؤه بعد صلاة الصبح وبعد المغرب كل يوم، ويتلو سورة الكهف كل جمعة. هذا وكان يحسن تلاوته بصوت عذب شجي، فكأنما أوتي مزمارًا من مزامير آل داود عليه السلام، حتى قيل إنه لم يُسمع في عصره من يضاهيه في التحبير والتلاوة. ليس هذا فحسب، بل كان حافظًا للقرآن، إذا استشهد بآية جاء بها بديهة دون تردد مع صحيح النطق والبيان. وكان الحكام والأمراء والأولياء يستفتونه، فيجيبهم بفهم ثاقب كأنما الكتاب بين يديه. عُرف بكثرة البكاء من خشية الله، فكان قريب الدمعة، فؤاده لين كأفئدة الطير. وكانت مجالسه موئلًا للسكينة، يلقى كل من حضره بدماثة خلق، ولسان رطب بالمواعظ وذكر الصالحين؛ لا يتكلم إلا بخير، ولا يُسمع منه إلا ما يقرب إلى الله زلفى ويذكر بالآخرة رغبًا ورهبًا. إذا خطر بقلب أحد الحاضرين سؤال أجابه بما يناسب حاله دون أن يُسأل، وكان يقول: لا يبلغ أحد مبلغ الرجال حتى يستوي عنده المدح والقدح؛ لذا كان مَن جالسه خر لله ساجدًا وأناب، ولو كان المجلس طويلًا لم يمل منه الحاضرون

والأحباب، بل تفيض أعينهم بالدمع، وتنشرح صدورهم بذكره ويحصل لهم النفع والبركة (البرتلي، 1981: 201-205).

ومن كراماته الظاهرة أن حبب الله قلوب الخلائق فيه، فسخرهم لخدمته طوعًا وكرامة. عُرف بالزهد النادر، فكان لا يرى لنفسه حظًا في زهرة دنيا الفناء. ولقد كانت تأتيه الزوار بالهدايا والعطايا من كل حدب وصوب، فينفقها في وجوه البر إيثارًا لوجه الله تعالى ورحمة بعباده. ولقد ألقى الله هيبته في قلوب الخلائق. ولم يكن أحد يجسر على مخالفته، بل كانوا يلتمسون بركته ويرجون دعاءه، إذ كان بحق مستجاب الدعوة، لما حباه الله به من فضله العميم. وكان الصالحون والطالحون على حد سواء يخشون دعوته عليهم، إذ دعوة الولي الصالح كضربة السيف القاطع لا تخطئ الهدف، كما ورد في فتح الباري للقسطلاني (2005) وغيره من كتب أهل العلم والتحقيق. هكذا عاش الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني خاشعًا متبتلًا، لا يخاف في الله لومة لائم؛ وتوفي على ما عاش عليه، زاهدًا متزودًا من دنيا الممر مجتهدًا ومقبلًا على دار المقر. انتقل إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء يوم السبت 12 أو 14 من شوال عام 1207 للهجرة. نفعنا الله ببركات علومه وأسراره في هذه والبرزخ وتلك (البرتلي، 1981: 201-205).

هذا هو شأن أولياء الله الصالحين، يعطون من الكرامات بقدر إخلاصهم. ويظهر الله على أيديهم من العجائب وخوارق العادات ما يكون حجة لله على العباد، وبرهانًا على صدق طريقهم. فيربون المريد والسالك بحالهم ومقالهم الدال على الله، وكلما رؤوا ذكر الله.[1] فكلامهم يلامس شغاف القلوب، وفيه شفاء لكل مكروب، وهداية إلى طريق علام الغيوب، وسيرة النبي الحِبِ المحبوب، الذي الصلاة عليه قربة من أعظم القربات، بها تزيد الحسنات وتتساقط السيئات. كيف لا وهم بالحق أطباء للقلوب، ويدلون الخلق إلى

[1] ومما يحكى في هذا السياق نكتة طريفة وقعت بقصر أنزجمير بتوات، حين همّ السي الحاج المهدي الشيخ بلة بإنشاء أبيات من الشعر الملحون لحلقة الرقص الفلكلوري (المعروف محليًا بالبَارُودْ)، ويطلق على صاحب هذه الصنعة: *الصّيّاغ* (أي من يصوغ الكلمات المسجوعة التي يرددها الجميع في حلقة البارود). فأنشأ هذين البيتين:

اوْلَهْوَى اجْلَبْنِي اوْلاَحْنِي في حَاسِي ولاَ فَاقُوْ نَـاسِي اوْكِـيفْ انْـوَاسِي

لكن بمجرد ما رأى سيدي الشيخ المربي الحاج الحسن الأنصاري مارًا بالجوار، استبدل الصيّاغ كلماته الغزلية على الفور، تأدبًا وحياءً منه، فصاغ بيتين من *أسهل المسالك لنظم ترغيب المريد السالك في مذهب الإمام مالك* (البشار، 2009: 16) قائلًا:

الـــنّارْ والجَنّهْ حَـقاً خُـلِـقَـا أُو دَارْ الجَـزَا نَعـيـمْ وَشَقَـــا

الصراط المستقيم من كل حدب وصوب. بحور آدابهم وعلومهم تتدفق من معين محمدي لا ينضب، فإذا ما عم في الأفق الدجى، وضاق من كل الجهات مخرجًا، اقتبسوا من نور النبوة سراجًا وهاجًا.

والحق أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وهو المتفرد بالمنع والعطاء، فسبحان من تفرد وحده البقاء. فاللهم يا من بيده مفاتيح الخيرات والبركات، عاملنا بميزان الفضل لا بميزان العدل وأقلنا العثرات، في السكنات والحركات، وفي الحياة وبعد الممات، وضاعف اللهم الحسنات وامح عنا السيئات، وارزقنا حسن الخاتمة بجاه سيد السادات. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ورضي عن أوليائه العارفين العاملين، الذين يحفظون حدود الحق ويقيمون نهج الدين، ويهدون العباد إلى صراط الله المبين.

5. الطريقة الرقانية القادرية وطرق التصوف عموما

لقد تقدم معنا أن الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني يعد مؤسس الطريقة الرقانية الثاني، حيث أخذ أورادها عن شيخه ووالده الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، الذي كان كثير التردد على ضريح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي بزاويته في بوعلي، إلى أن أدركه مقام الوَلاية بواد بوعلي.[1] ثم اتصل بعدها بالشيخ سيدي امحمد بن أبي زيان القندوسي وأخذ عنه الطريقة القادرية. ومن المسلّم به في منطقة توات أن الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني بلغ مرتبة الغوثية في الوَلاية، حتى فاق في ذلك والده الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. وقد نقل عنه قوله المشهور: "لولا أن سلسلة الورد أخذتها عن والدي لأوصلتها مباشرة لسيدنا رسول الله" (جعفري، 2017: 5)، صلى الله عليه وآله وسلم. أما ما تميزت به الطريقة الرقانية في توات فهو ورد الرماية، الذي أستحدثه الشيخ مولاي عبد الله الرقاني عند تأسيس زاويته برقان. وهذا الورد له سند خاص متصل بالشيخ سيدي محمد بن موسى الخلاص عن سيدي ابن ناصر عن سيدي الزبير بن العوام عن سيدي عمر بن نشاط عن سيدي مالك بن أنس عن سيدي المقداد عن سيدي سعد بن أبي وقاص عن

[1] يعد الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ) أحد أبرز أعلام الحركة الإصلاحية في القرن العاشر الهجري، حيث شكلت مسيرته منعطفًا تاريخيًا مهمًا في منطقة توات والصحراء الكبرى. جمع هذا العالم المجاهد بين العمق العلمي والحنكة الإصلاحية، فترك بصمة واضحة في التاريخ الإسلامي من خلال جهوده في تصحيح العقائد ومحاربة البدع، لا سيما في مواجهة الممارسات اليهودية التي انتشرت آنذاك (أنظر جعفري، 2007ب).

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سيدنا جبريل عليه السلام عن المولى عز وجل (جعفري، 2017: 5).

ومن خصائص الطرق الصوفية تمازجها الروحي الفريد وتأثر بعضها ببعض، حيث تتداخل المناهج وتتناغم المسالك والمشارب، كأمواج بحر واحد تختلف ظواهرها وتتفق جوهرها. فالشيخ الواحد قد يجمع بين أسانيد متعددة، والمريد قد ينهل من مشارب شتى، في صورة تعكس غنى التراث الصوفي ومرونته. وتعد الطريقة الرقانية مثالًا واضحًا على هذا التكامل، إذ تجمع في منهجها بين عدة طرق صوفية راسخة مثل القادرية والشاذلية والزيانية والطيبية والبكائية والتجانية. وقد منحها هذا التمازج الفريد مكانة متميزة بين الطرق الصوفية في المنطقة، حيث جمعت بين الأصالة في النسب الروحي والانفتاح على مختلف المدارس الصوفية مع الحفاظ على خصوصياتها التي تميزها عن غيرها (كورد الرماية).

وفي سياق الممارسات التربوية، تختلف الطرق الصوفية في موقفها حول مسألة الجمع بين الأوراد. فبينما تسمح معظم الطرق (مثل الرقانية والقادرية والطيبية والشاذلية) للمريد بأن يتلقى أكثر من ورد في آن واحد (سعد الله، ج. 4، 1998: 91، 94، 103)، لكن تبركًا لا سلوكًا، نجد أن الطريقة التجانية تتبنى موقفًا مخالفًا يحظر على مريديها الجمع بين أورادها وأوراد أي طريقة أخرى. لذا أرغب في هذا السياق أن أقف عند كلمة طيبة أفاد بها الشيخ السيد الحبيب بن عبد الرحمن العلوي التواتي السالي (د.ت.: 21-22) في كتابه شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، تخص ضوابط الجمع بين الطرق الصوفية والانتقال بينها. فكان من جملة ما أكده أن علماء السلوك، السادة الصوفية من أهل علم الباطن والظاهر، ذهبوا إلى جواز الجمع بين الأوراد إذا كان بقصد التبرك بأسرار هذه الطرق لا التسليك أو التربية. فإن قصد السالك بالجمع المسلك والسلوك، فقد أجمعوا على منعه؛ لأن ذلك يؤدي إلى القطع عن الوصول، ويكون حظ السالك من هذا الجمع الحرمان. ثم أبرز الشيخ السيد الحبيب بن عبد الرحمن أيضًا فارقًا جوهريًا بين المنهج الأصيل للشيخ سيدي التيجاني رحمه الله وبين ما انزلق إليه بعض المنتسبين لطريقته من مبالغات. فبيّن أن ثمة فريقًا من أتباع هذه الطريقة بالغوا في تشديداتهم حتى حرموا الجمع بين الطرق أو الانتقال عنها، مخالفين بذلك الروح الأصيلة للطريقة التيجانية

التي تقوم على أساس إجلال جميع الطرق الصوفية وتقديرها. ولقد ثبت هذا المنهج المتسامح للشيخ التيجاني في نصوصه وسيرته، حيث ورد عنه من المواقف ما يؤكد تقديره العالي لمشايخ الطرق الأخرى وإجلاله لهم، مما يجعل تلك المبالغات محض زيادة من بعض اتباع الطريقة التيجانية (انظر أكنسوس، د.ت.).

ولا شك أن السير إلى الله تعالى يحتاج إلى منهج واضح وطريقة ثابتة، لكن الشرع الحكيم لم يوجب على المسلم التزام طريقة صوفية معينة كالفرائض والواجبات. فالأصل في هذه الطرق أنها وسائل مساعدة على التزكية والترقي الروحي، وليست غايات في حد ذاتها. وقد نبهني شيخي سيدي صالح أولاد جعفري رحمه الله،[1] إلى أن أخذ الأوراد لا يكون إلا مع

[1] هو الشيخ سيدي صالح أولاد جعفري الزينبي الجعفري الطياري الهاشمي القرشي، شيخنا ووالدنا وحبيبنا في الله تعالى ومحبنا فيه. كان رحمه الله من أوائل تلاميذ العارف بالله سيدي الشيخ المربي الحسن الأنصاري أمد الله في عمره بقصر أنزجمير، بتوات (أدرار)، ومن أبرز من تخرج في مدرسته. كان رحمه الله مُفَوهًا فَهِما حافظًا لكتاب الله عز وجل حفظًا متقنًا، دائم التلاوة والاشتغال بالقرآن مدارسةً وتعليمًا في كل أحواله. تخرج على يديه عدد من حفظة القرآن الكريم ومعلميه من الرجال والنساء، ولله الحمد. كان نحويًا بليغًا وفصيح اللسان. وكان يشتغل بتدريس الحديث النبوي، فعكف في حال حياته على قراءة صحيح البخاري، والشمائل المحمدية، ورياض الصالحين. وكان من أولئك الصالحين المغمورين الذين يأبون الظهور، متقد الذكاء، عاليًا في الإخلاص والوفاء والصفاء. لقد كان همه تعليم الناس القرآن وأمور دينهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم. نشهد له بالصدق في التربية والنصح، فلقد كان هاديًا إلى طريق الحق، نابذًا للظلم، كيف لا وقد أغنى الله قلبه بالعلم وزينه بالحلم.

ولقد كانت مجالسه العامرة في مسجد قصر الخلفي ببلدية أنزجمير ولاية أدرار مزيجًا فريدًا من العلم والروحانيات، قبل أن ينتقل في أواخر حياته ليؤسس مدرسة قرآنية باسم *سيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها*، لكن قدر الله تعالى أن ينتقل إلى دار البقاء قبل إتمامها. لقد حظيت بشرف استضافة النواة الأولى لمدرسة سيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها أسرة الحاج بريكة قرافي، من ذرية الولي الصالح سيدي الشيخ يوسف دفين قصر تيدماين. وكان أحد أبناء هذه الأسرة الكريمة، السي محمد بن بريكة قرافي (المشهور بالزاوي، والذي وافاه الأجل قبل شيخنا سيدي صالح يوم 27 ديسمبر 2023م)، من أكثر الملتزمين بحضور دروس الشيخ سيدي صالح أولاد جعفري. لقد كان شابًا قل نظيره وحظي بحب الشيخ وقربه؛ وكان ممن يخدمه بإخلاص ومحبة ووفاء وممن يصاحبه في حله وترحاله، حتى صار من ثقات تلامذته الغيورين على العلم وأهله ومات على ذلك رحم الله الجميع.

لقد حضرتُ آخر مجلس علمي للشيخ سيدي صالح أولاد جعفري، وذلك بعد صلاة العشاء من ليلة الثلاثاء 30 يناير 2024م بمدرسته المؤقتة في قصر الخلفي. ابتدأ الدرس بقراءة متن تحفة الأطفال للشيخ سيدي سليمان الجمزوري رحمه الله، ثم انتقل بنا الشيخ إلى درس التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، حيث لقننا قوله تعالى: ﴿قُلِ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 31). ثم ختم المجلس -على عادة السلف الصالح- بفائدة علمية أنشدها لنا بصوت شجي يشنف الآذان وأبيات محبرة تنير القلب والأذهان:

هَذَا هُـــوَ القُرْآنُ نِـبْرَاسُ الهُدَىٰ دُسْـتُورُكَ الأَسْمَى المُنِيرُ المُشْرِقُ
آيَــاتُهُ نَبْـــعُ العُلُومِ جَــمِيعِهَا مَنْ قَـــالَ لَا فَهُوَ الغَبِيُّ الأَخْرَقُ

العزم على المداومة، وأن الشيخ المربي لا يلقن الأوراد لمن يعلم منه التفريط فيها. لكن ينبغي للمريد أن يوازن بين المحافظة على الفرائض من العبادات وجوبًا والتزامه بالأوراد ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن نسي وردًا قضاه، استحبابًا، كما يقضي النوافل. ولأجل ذلك يحث مشايخنا على ضرورة التفقه قبل التصوف. أما الجمع بين الطرق بقصد التبرك أو الانتقال المشروع، فلا حرج فيه، شريطة أن يكون لسبب معتبر كوجود مرشد يرى عليه أثر الكمال أو ظهور أثر واضح في السلوك، أو بنصيحة من الشيخ المربي للمريد السالك، بشرط ألا يصاحب ذلك استهانة بالطريقة الأولى أو اتباع للهوى. وعلى السالك أن يعلم أن سر السر في الأثر الذي يرى على المريد بعد تصحيح قصد وخلوص نية لوجه الله ومحبة في الشيخ، ليصل به إلى الحضرة المحمدية، فيزج في أنوار الأحدية حتى يغرق بالمشاهدة في بحر عين الوحدة. وعلى السالك أن يتأدب مع جميع مشايخ العلم والتصوف، ويحفظ قلبه من سوء الظن بأي طريقة شرعية تحترم ثوابت دين الإسلام الحنيف وسنة الهادي الشريف. كما ينبغي له أن يراعي وحدة الصف بين أهل العلم والتصوف الصرف، ويحرص على جمع القلوب لا تفريقها. فالحكمة تقتضي التعامل مع تعدد الطرق باعتدال، دون غلو في التزام طريقة أو تساهل في الانتقال بينها.

عِلْمُ الطَّبِيعَةِ وَالحَيَاةِ وَحِكْمة الـ إِيْـــجَادِ مِـــنْ تِبْيَانِـــهِ تَتَدَفَّقُ
وَسِـــيَاسَةُ الدُّنْيَا بِأَقْـوَمِ شِرْعَةٍ بَـيْنَ الـــوَرَى بِسِوَاهُ لَا تَتَحَقَّقُ
فِيهِ القَضَاءُ لِحَـلِّ كُـلِّ قَـضِيَّةٍ عَنْ حَلِّهَا أَهْلُ السِّيَاسَةِ أَخْفَقُوا

لقد كانت هذه الأبيات المباركة آخر ما تلقيناه من فيض علمه الغزير وبركاته الظاهرة والباطنة، ولا أزال أحتفظ بتلك الورقة النفيسة التي خطها سيدي الشيخ صالح أولاد جعفري بيده المباركة إلى اليوم. وفي موقف يدل على فراسته الربانية، وبينما كنت أحدث نفسي بالرغبة في تلك الورقة بعد سماع الأبيات، فإذا بعينيه الكريمتين تتوجهان نحوي، وثغره الشريف باسم، ثم أخرج الورقة من جيبه ودفعها إليّ بكرم نادر من كرماته رحمه الله. فباتت هذه الورقة المباركة منذ ذلك الحين ذكرى ثمينة ووثيقة تاريخية تروي قصة عالم جليل وشيخ مرب، فحفظت ذاكرة الورق فيها ذاكرة القلب. أحفظ هذه الهدية النفيسة تبركًا وتيمنًا، إذ كانت آخر عطاياه العلمية في عالم الأشباح قبل أن يبتلى بالمرض في مساء الأربعاء 31 يناير 2024م، فدخل إثر ذلك في غيبوبة انتهت بانتقاله إلى عالم البرزخ والأرواح. فاضت روحه إلى رحمة الله تعالى بعد صبر طويل على المرض، مساء الأربعاء 20 نوفمبر 2024م في المستشفى العسكري الجهوي الجامعي بوهران، وشيعته جموع غفيرة في توات تدل على محبة الناس له واعترافهم بفضله. دُفن في داره رحمه الله، بقصر الخلفي، بلدية أنزجمير، دائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، وقبره مزار ويذكر بالخير؛ نرجو من الله أن يحشره مع النبيئين والشهداء والصالحين وأن يتوفانا على ما مات عليه، لا مبدلين ولا مغيرين، فنلقاه سبحانه وتعالى على الإيمان والهدى وقول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالمصدر واحد وإن تعددت المشارب، والمنهل فاض من ذات المنبع، وهو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. ذلك لأن جميع الطرق الصوفية تستمد أنوارها من مشكاة النبوة، فهي فروع من شجرة النور المحمدية.

وكـلهم مـن رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفًا من الديم

وشتان بين من يتنافس في الاغتراف من البحر المحمدي صاحب السؤدد، وبين من يتخاصم على الأواني التي تستقي منه. لقد تنوعت الطرق بتنوع الفيوضات الربانية، كما تتنوع الينابيع من عين واحدة. غير أن هذا التنوع رحمة بالأمة، إذ يجد كل قلب ما يناسبه من الأساليب التربوية، مع الاتفاق على الغاية وهي الوصول إلى الله تعالى. لذا يجب على السالك أن يعلم أن اختلاف الطرق ليس اختلاف تفرق وتضاد، بل اختلاف تنوع وتكامل. فكما لا ينكر عاقل فضل صحابي على آخر، كذلك لا ينكر اختلاف طريقة عن أخرى في المسلك، لكنها تؤدي إلى نفس المقصد، وهو نجاة السالك من المهالك. فالكل يسعى إلى الرحمن ذي المنة ما دامت جميعها تسير على الكتاب والسنة. ولو أرادها الله تعالى أمة واحدة المسلك، لجعلها كذلك. ولكن حكمته اقتضت هذا التنوع الذي يظهر به عجائب صنعه. نسأله أن يهدينا جميعًا إلى أحسن الأخلاق والأعمال، وأن يجمع كلمة المسلمين على الهدى والتقوى وينجينا من الضلال. فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

6. سلسلة مشايخ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني

لقد نظم الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ المُزَّمِّرِي التواتي الجزائري سلسلة مشايخ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني في قصيدة رجزية بديعة، افتتحها بحمد الله تعالى والثناء عليه، فأتبعه صلاة وسلامًا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، ثم شرع بعد ذلك في ذكر شيوخ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني السبعة والثلاثين.[1] وتبدأ السلسلة بوالده

[1] يعد العلامة سيدي الشيخ محمد بن أبّ المزمري التواتي الجزائري (1094-1160هـ/1682-1747م) أحد أبرز الشخصيات العلمية التي أثرت في الحركة اللغوية والفكرية في جنوب الجزائر، وخاصة في منطقة توات، التي كانت من مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في الصحراء الكبرى. تميزت أعماله بالتنوع والعمق، حيث شملت الفقه، النحو، الصرف، العروض، والشعر، مما جعله يلقب *بالعبقري* نظرًا لسعة علمه وقدرته على التأليف في تخصصات متعددة (أنظر بقادر، 2024؛ عبد الوافي، 2015؛ بلعالم، ج. 1، 2005: 89-122). ولقد تجاوز تأثيره العلمي حدود توات وامتد إلى مدارس السوقيين في تخوم الصحراء، شمال مالي، حيث كان يدرّس نظمه لسجود السهو من متن الأخضري، ويعرف عندهم *بالعبقري* كما سماه ناظمه. ويُدرس معه نظم آخر لأحد أبرز علماء المنطقة خلال القرن 12 الهجري، وهو سيدي الشيخ أحمد (عامّ) بن الشيخ هَمَّهَمَّ الدغوغي الودغيري

الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، ثم تختتم بسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد اشتهرت سلسلة مشايخ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني في أقاليم توات باسم سلسلة الأنوار أو السلسلة اختصارًا. ومن السنن المتوارثة في قصر أوغزير قراءة هذه السلسلة كل ليلة اثنين وخميس بعد صلاة العشاء، كما كانت تقرأ في قصر الخلفي بمجلس شيخنا سيدي صالح أولاد جعفري. كنا نلتزم بقراءتها كل ليلة خميس بعد همزية سيدي الإمام البوصيري، ونقرأ ليلة الجمعة سلسلة مشايخ شيخنا الولي الصالح مولاي الطيب الوزاني (ت. 1181هـ/1767م)، شيخ الطريقة الطيبية الشاذلية (بن قايد، 2022)، بعد بردة سيدي الإمام البوصيري أيضًا رحم الله الجميع ورضي عنهم وأرضاهم وعنا بهم آمين.

الإدريسي، الذي ألّف منظومة *نيل الوطر لطالب تكميل نظم العبقري* لإنهاء ما بدأه المزمري في شرح مختصر الأخضري. ولقد افتتح عَامَّ (2021: 2) نظمه فقال:

قَالَ ابْنُ هَمَّهَمَّ أَحْمَدُ الأَبِي لُـقِّبَ: عامَّ الحَـسَنِيُ النَّسَبِ
الحَمْدُ للهِ الـذِي قَدْ أَكْمَلَا لَـنَا فُـــرُوضَ دِينِهِ وَفَـصَّلَا
وَتَـــمَّمَ النِعْمَةَ فِي تِبْيَانِ نَـــظَافَةِ الـــقُلُوبِ والأَبْدَانِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدَا عَـــلى الـنَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ أَحْمَدَا
وَآلِـــهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ مَـنْ يُغْنَى بِإِتقَانِ الفُرُوضِ وَالسُنَنْ
وبَعْدُ فَالـعَوْنُ مِنَ المُقْتَدِرِ فِـي نَـظْمِ مَا تَـــرَكَهُ المُـزَّمِّرِي
مُحَمَّدُ بْنُ أُبَّ مِن مُخْتَصَرِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الإِمَامِ الأَخْضَرِي
فَـإِنْهُ بِنَـظْـمٍ سَهْوِهِ أَتَى وَعَـــنْ جَمِـيعِ مَا سِـوَاهُ سَكَتَا
ثُـمَّ أُسَـمِيهِ بِـ(نَيْلِ الوَطَـرِ لِطَالِـبِ تَكْمِيلَ نَظْمِ العَبْقَرِي)

إلى آخر منظومة نيل الوطر في تكميل نظم العبقري، مستلهمًا روح النظم العلمي الذي اتبعه ابن أب المزمري، ومؤكدًا على استمرارية هذا التراث العلمي الأصيل. ولا تزال هذه المنظومة، إلى جانب نظم العبقري، تُدرّس وتحفظ في حلقات العلم ومدارس السوقيين في الصحراء بشمال مالي، مما يشهد على حيوية هذا الإرث العلمي وقدرته على البقاء عبر القرون. وينحدر سيدي الشيخ أحمد بن همهم من أسرة دغوغية ودغيرية إدريسية حسنية (والشرفاء الوداغير ينتسبون للولي الأشهر العارف بالله الأكبر الشيخ الأمير سيدي عبد الرحمن الودغيري الجد الجامع لجميع فروع الشرفاء الودغيريين الأدارسة، أنظر المخلوفي، 2015؛ هلالي، 2022؛ هلالي وبنعلي، 2024: 19-23). لقد شكل الدغوغيون الوداغير أسرة علمية عريقة اشتهرت في صحراء مالي والنيجر بالعلم والصلاح والتأثير الروحي (العتيق، د.ت.: 230-241؛ بن الفاروق وعبد الوافي، 2026). ومن أعلام هذه الأسرة سيدي محمد الأمين بن سيدي الشيخ أحمد الذي التقى بالشيخ مولاي عبد المالك الرقاني وروى عنه، كما ذكر سيدي الشيخ المحمود بن الشيخ حماد الدغوغي الودغيري الإدريسي في مؤلفاته (مج. 2، د.ت.: 138). وتمثل هذه الصلات العلمية مظهرًا من مظاهر التواصل الفكري المستمر بين أقاليم ولاية أدرار (تحديدا منطقة توات) وبلاد التكرور (خاصة تمبكتو وما حولها)، حيث شكلت هذه الشبكة العلمية جسرا للتبادل الثقافي بين مراكز العلم في الصحراء الكبرى عبر قرون وأجيال غابرة.

وهأنذا أورد سلسلة الأنوار كما تلقيناها عن شيخنا سيدي صالح أولاد جعفري، تصحيحًا لما قد يقع فيه البعض من أخطاء عند القراءة، سائلًا المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه

الْحَـــمْدُ لِلَّهِ مُجِـــيبِ السَّائِلِ ... إِذَا دَعَـــــا بِأَعْـظَمِ الْوَسَـائِلِ
ثُمَّ الصَّـــلَاةُ وَالسَّـــلَامُ مَعَـهَا ... عَـــلَى الَّذِي حَوَى الْعُلَا أَجْمَعَهَا
وَآلِـهِ وَصَـحْبِهِ وَكُلِّ مَـــــنْ ... نَـــالَ الْهُدَى بِهَدْيِهِمْ طُولَ الزَّمَنْ
وَبَعْـــدُ رَفْـــعُ حَاجَتِي لِلْبَـارِي ... بِـمَنْ حَـــوَتْ سِـــلْسِلَةُ الْأَنْوَارِ
مِنْ جُمْلَةِ الْأَقْـــطَابِ وَالْأَشْرَافِ ... وَالْـــعُلَمَا السَّنِيَّةِ الْأَوْصَـــافِ
وَأَصْـدِقِ اللَّهَ بِـــحُسْـــنِ الْأَدَبِ ... تَـلْقَ الَّذِي تَرْجُو مِنْ اَسْنَى الرُّتَبِ
وَقُـــــلْ إِذَا سَـأَلْتَ بِاسْمِ اللَّهِ ... يَـــــــا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ بِجَاهِ
وَلِـــــيِّكَ الَّذِي أَنَلْتَهُ الشَّرَفْ ... وَالْعِلْمَ وَالْجُودَ وَفَضْلَ مَنْ سَلَفْ
مَـــوْلَايَ عَبْدِ الْمَالِكِ الرَّقَّانِـــي ... صَـــالِحِ هَذَا الْوَقْتِ بِالْـــعِيَانِ
وَشَيْـــــخِهِ وَالِدِهِ الَّذِي ظَهَرْ ... لِـــكُلِّ دَاعٍ بِالـــتَّوَسُّلِ اشْتَهَرْ
الصَّالِحِ الشَّرِيفِ ذِي القَدْرِ الْعَلِي ... مَـــوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ ذَاكَ ابْنُ عَلِي
وَهْـــوَ الَّذِي دَعَـــاهُ بِالرَّقَّانِي ... هَاتِـــــفُ مَدْحًا شَاذَ بِالْبَيَانِ
إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى مَا قَدْ حَـــصَلْ ... لَـــهُ مِنَ السِّرِّ فِي ذَلِكَ الْمَحَلْ
وَشَيْخِـــهِ الْعَارِفِ ذِي الْإِحْسَانِ ... شَيْـــخِ الشُّيُـــوخِ ابْنِ أَبِي زَيَّانِي
وَشَـــــيْخِهِ أَيْ سَيِّدِي مُبَارَكْ ... ذَاكَ الَّذِي مَـــــوْلَاهُ فِيهِ بَارَكْ
وَشَيْـــــخِهِ ابْنِ نَاصِرِ الدَّرْعِيِّ ... حَـــامِي حَـــرِيمِ سُنَّةِ الْمَرْعِيِّ
وَشَيْخِـــهِ سَيِّدِي عَبْـــدِ اللَّهِ ... نَـجْلِ حُسَـــــيْنِ الصَّالِحِ الْأَوَّاهِ
وَشَـــيْخِهِ أَحْمَدَ وَهُوَ ابْنُ عَلِي ... مَـــــنْ جَـعَلَ الْإِلَهُ قَدْرَهُ عَلِي
وَشَـــيْخِهِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الـنَّاسِ ... بِـسَيِّدِي الْغَـــازِي بِـــلاَ الْتِبَاسِ
وَشَيْخـــــهِ الَّذِي لَهُ فَضْلٌ جَلِي ... أَعْـــنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَاسْمُهُ عَلِي
وَشَيْخِهِ الْمَـــعْرُوفِ فِي الْأَزْمَانِ ... بِأَحْـــــمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْمَلْيَانِي
وَشَـــيْخِهِ زَرُّوقِ ذِي التَّـــقَدُّمِ ... وَشَيْخِهِ أَحْمَدَ أَعْنِي الْحَضْرَمِـــي

وَشَيْخِهِ الْفَرْدِ عَـــــلِيِّ الْمُرْتَضَى ... وَشَـــيْخِهِ الصَّدْرِ الْقَرَافِيِّ الرِّضَا
وَشَـــيْخِهِ الَّذِي دُعِي بَيْنَ الْأُمَـــمْ ... ابْـــنَ عَطَاءِ اللَّهِ صَاحِبَ الْحِكَمْ
وَشَيْخِهِ الْقُطْبِ الْإِمَامِ الْمُرْسِـــي ... مَـنْ حَـــازَ شُهْرَةً كَمِثْلِ الشَّمْسِ
وَشَيْخِهِ الْعَارِفِ ذِي الْهَدْيِ الْحَسَنْ ... أَيْ الْإِمَـامِ الشَّاذِلِي أَبِي الْحَسَنْ
وَشَيْخِهِ حَاوِي الْمَـــــقَامِ الْأَكْبَرِ ... عَبْـــدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشِ الْأَشْهَرِ
وَشَيْخِهِ الْوَلِيِّ جَارِ الْمُصْـــــطَفَى ... وَشَيْخِـــــهِ شُعَيْبِ الْمُبْدِي الْخَفَا
وَشَيْخِهِ عَلِيِّ بْنِ حَرْزَهَـــــــــمْ ... وَشَيْخِهِ الْأَرْضَى أَبَا يَعْزَى الْفَـــهِمْ
وَشَيْخِهِ مَـــــــوْلَايَ عَبْدِ الْقَادِرْ ... شَيْخِ الشُّيُوخِ الْقُطْبِ ذِي الْمَآثِرْ (3)
وَشَيْـــــــخِهِ الَّذِي لَدَيْهِمْ يُنْمَى ... ابْـــــنَ هَوَّارِي الْقُرَشِيِّ يُسَمَى
وَشَيْـــــخِهِ بَدْرِ الدُّجَى أَبِي الْفَرَجْ ... وَشَـــيْخِهِ نَجْلِ تَمِيمٍ ذِي الدُّرَجْ
وَشَيْـــــخِهِ الشَّبْلِيِّ ذِي الْمَرَاتِبْ ... وَشَيْـــــخِهِ الْجُنَيْدِ ذِي الْمَنَاقِبْ
وَشَيْخِهِ سَـــــــرِيِّ السَّقْطِيِّ ... وَشَيْـــــــخِهِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ
وَشَـــــــيْخِهِ دَاوُودِ الطَّائِيِّ ... وَشَـــــــيْخِهِ حَبِيبٍ الْعَجَمِيِّ
وَشَـــيْخِهِ الْبَصْرِيِّ أَعْنِي الْحَسَنَا ... ذَاكَ الَّـــذِي حَازَ الْمَقَامَ الْحَسَنَا
عَـــــــنْ شَيْخِهِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ ... ابْـــــــنِ أَبِي طَالِبٍ الْقُرْشِيِّ
عَنْ سَيِّدِ الْوُجُودِ اهْدِنَـــــا إِلَى ... حَـــضْرَةِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَـــــــيْرِ الْوَرَى ... صَـــلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا بَدْرٌ سَرَى (3)
يَـــــــــا رَبَّنَا بِجَاهِ هَؤُلَاءِ ... عِـــــــــنْدَكَ نَجِّنَا مِنَ الْبَلَاءِ
وَكُـــــــفَّ عَنَّا كَفَّ مَنْ يَرُومُ ... جَـــــــنَابَنَا وَهْوَ لَنَا ظَلُومُ
وَكُنْ بِعَوْنِكَ لَنَا نَـــــــصِيرًا ... وَاجْـــــعَلْ حِسَابَنَا غَدًا يَسِيرًا
وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِـــــقَضَاءِ الْوَطَرِ ... وَنَجِّـــــنَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ
وَاسْـــــلُكْ بِنَا مَسَالِكَ السَّلَامَهْ ... فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَفِي الْقِـــيَامَهْ
بِـــجَاهِ أَحْمَدَ الْوَجِيهِ الْمُصْطَفَى ... مَنْ جَاهُهُ عَلَى الْأَنَامِ قَـــد ضَفَا
صَلَّى إِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّـــــمَاءِ ... عَـــــلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
وَالآلِ وَالصَّـــحْبِ الْكِرَامِ مَا دَعَا ... دَاعٍ إِلَاهِي بِحَبِـــــيبِكَ اشْفَعَا

وكعادتنا دائما نختم قراءة سلسلة الأنوار بهذه الأبيات الصوفية الملحونة التي تنبعث منها أنفاس الدعاء باللسان المغاربي العامي:[1]

يـــــــــا اهْلَ اللّهْ يا الصَّربْ الفالحَهْ وَالِّـــــــــي اقْصدْكُمْ مَايْظَنْ اِيْخِيبْ
لَـــــــــوْلاَ انْتُمُ مَا صَلْحَتْ صَالْحَهْ لَـــــــــوْلا ادْوَاكُمْ مَا اجْبَرْتْ اطْبِيبْ
ولُـــــــــو انْظَرْتُونِي ابْنَظْرَه صَالْحَهْ تَلْـــــــــقَحْ اشْجَارِي وَالتَّمْرْ اِيْطِيبْ
ولُـــــــــو اهْجَرْتُونِي اعْدَمْتُمْ نَايْحَهْ تَـــــــــكْثَرْ اعْلالِي وَالشْرَابْ ايْغِيبْ
حَـشَاكُمْ حَشَا الاَحْرَارْ الِّي اهْلالُو طَافْحَه حَـــــــــشَا الاحْرَارْ الِّي بِكُمْ انْدِيبْ
ءَانْتَمُ الِّي بِكُمْ امْـــــدادْ الرّحْم الكَافْحَهْ أَيْوَى انْتُمُ الِّي تَشْفُو لَمْرِيضْ ابْلا تَطْبِيبْ
أُولاَ اتْنَـــــــظْرُوا فِي الافْعَال القَابْحَهْ غِـــيرْ الِّي اقْبَلْتُمُوهُ يَوْصَلْ ابْلاَ تَجْرِيبْ
أَيَا اسْيَادِي يا اهْلَ اللّهْ يا لقَاحْ الجَايْحَهْ أيْـوَى اسْيَادِي يا غِيّاثِي شيِ للّهْ[2] اقْرِيبْ
صَـــلّى اعْـــــــــلِيك اللّهْ والمَلايكَهْ يَـــــا نُـــــورْ خَلْـقَ اللّهْ مُحَمَّدْ (3)[3]

7. فقرة أوغزير السنوية: تجديد العهد وتوثيق الروابط الروحية

قبل الحديث عن فقرة أوغزير، يحسن بنا تأمل دلالة مصطلح الفقرة في إطاره اللساني والتصوفي والتعليمي. فلفظ الفقرة يحمل إيحاءً صوفيًا عميقًا، يستدل به على معنى

[1] وهي من رموز سيدي الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي الإدريسي (907- 1016هـ)، مؤسس الزاوية الموساوية (موساوي، 2021)؛ والأبيات لأحد المشايخ المحبين، فينما كان على وشك الدخول إلى روضة دفن بها كوكبة من المشايخ وعلى رأسهم سيدي الشيخ عبد الرحمن بوفلجة، حفيد الشيخ سيدي أحمد بن موسى، أنشدها توسلًا بهم. وقد ترك سيدي الشيخ أحمد بن موسى رموزًا بعدد آيات القرآن الكريم، حيث ورد أنه قال: "درت لكل آية خديمة،" أي رمز. وتفرعت بعض هذه الرموز الموساوية على يد تلامذته من المشايخ، وللتفريق بينها تسمى رموز الشيخ نفسه *رَمْزَة شَيْخِيَّة* ورموز تلامذته *رَمْزَة تِلْمِيذِيَّة*.

[2] وعبارة "شيء لله" أو ما يعبر عنه بالعامية بـ "شي لله، وشايلاه، وشايلاه بيه" هي استغاثة ودعاء تُستخدم في الثقافة الشعبية والصوفية، وتعني طلب العون الروحي من البركات والأسرار والأنوار التي خص الله بها عباده الصالحين، دون التركيز على الأمور المادية. ولعل لهذا المفهوم أصل في النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ (الأعراف: 134). أي بما أعطاك الله وحباك من العهد والنبوة والكرامة والبركة. فـ"شايلاه" (شي لله) بمعنى طلب البركة الروحية من أسرار الله في أوليائه. و"شايله وبيه" (شي لله وبالله) بمعنى تأكيد أن البركة من الله وحده، لكنها تستجدى بطرق مشروعة. فكل هذه المصطلحات تعني التوجه إلى الله بوسائل مشروعة، مع اليقين أن الفضل كل الفضل من الله وبيده، فهو المتفرد بالمنع والعطاء. أما إذا تحول الطلب إلى غلو أو شرك—معاذ الله وتعالى عن ذلك سبحانه علوًا كبيرًا—فهو منكر حرام.

[3] أما البيت الأخير منها (صَلّى اعْلِيك اللّهْ والمَلايكَهْ يَا نُورْ خَلْقَ اللّهْ مُحَمَّدْ) فيكرر ثلاث مرات، والراجح أنه ليس من القصيدة وإنما زيد للختم بالصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا مطرد في المدائح النبوية والقصائد الصوفية عمومًا بتوات.

الافتقار إلى الله تعالى. أما من الناحية الاشتقاقية، فقد يربط معناه بالعبد الفقير الذي يُعبّر به عن السالك أو المريد في المصطلح الصوفي، إشارة إلى تخليه عن الأغيار واعتماده الكلي على مولاه. غير أن هذا المصطلح يختلف تداوله بشتى الأمصار والمجتمعات الإسلامية بالمغرب والمشرق العربي وإفريقيا وبلاد العجم.

يختلف إذن استخدام المصطلحات الدالة على المريدين في البيئات الصوفية باختلاف المناطق الجغرافية والمناهج التربوية. فبينما تنتشر مصطلحات مثل فقير، مريد، أو سالك مغاربيًا (كالمغرب وتونس)، أو بالمشرق وبلاد الشام وأرض الحجاز (كمصر، اليمن، العراق، وفلسطين) أو إفريقيا (كالنيجر والسودان)، نجد في غرب الجزائر مصطلح مَضْعَفْ (المتداول نطقا مَظْعَفْ بصيغتي المفرد والجمع) الذي يشير إلى معنى الضعف والافتقار إلى الله، ويستخدم جنبًا إلى جنب مع مصطلح فقير. أما في أقاليم توات، فيشيع مصطلح تِلْمِيذ (أو تَلْمِيد باللسان التواتي، وجمعه اتْلامِيد)، مما يعكس خصوصية المنظومة التعليمية المتكاملة في المنطقة التي تجمع بين علوم الظاهر (القرآن الكريم والفقه والسنة النبوية وعلوم الآلة) وعلوم الباطن المتمثلة في تزكية النفس وتربيتها، والتي ترتكز أساسًا على دراسة وشرح الحكم العطائية وما شابهها.

وتتميز هذه المدارس القرآنية في توات، التي تختلف عن زوايا التصوف أو زوايا الإطعام عمومًا، بمنهجها الشمولي الذي يمزج بين المعرفة الشرعية والتربية الروحية، لتجمع بذلك بين الشريعة والحقيقة والطريقة. فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عمق التجربة التعليمية في توات التي توفق بين الأصالة والمعاصرة في رؤية تربوية روحية متكاملة. وبالرغم من تعدد المصطلحات، فإن الحقيقة واحدة لا تتجزأ. فهذه التسميات، على اختلافها، ما هي إلا أنهار تصب في بحر واحد، هو بحر العبودية الخالصة لله تعالى. فسواء سمي السالك تلميذًا أو فقيرًا أو مريدًا الخ، فإن جوهر حاله واحد: هو ذاك الذي أدرك أنه بذله وفقره إلى مولاه دون سواه يتحقق له تمام عزه وغناه. ولقد صاغ الصوفية هذه المعاني في قوالب لغوية مختلفة، لكنها جميعًا تشير إلى تلك الحقيقة الأزلية: أن الفقر الحقيقي هو التجرد من كل حول وقوة إلا بالله، والاستغناء بذكره عن كل ما سواه. ثم إن هذا الافتقار ليس ضعفًا ولا انكسارًا، بل هو قوة تستمد من القوي، وغنى يأتيه من الغني، القائل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: 15).

1.7. العلاقة الروحية بين الوليين الصالحين الرقاني والأوغزيري

عند الحديث عن فقرة أوغزير والعلاقة الروحية بين مولاي عبد المالك الرقاني[1] وسيد الحاج أمحمد الأوغزيري، نجد أنفسنا أمام ظاهرة صوفية فريدة تتجاوز حدود الزمان والمكان. وإذا ما حاولنا فك لغز العلاقة بين هذين الوليين الصالحين، اعترضت طريقنا معضلة تاريخية تتجاوز حدود التوثيق المدون إلى مجال الرواية الشفوية والذاكرة الروحية. فمن الثابت تاريخيًا أن مولاي عبد المالك الرقاني (ت. 1207هـ/1793م) يمثل شخصية موثقة في المصادر التاريخية، بينما يكتنف الغموض حياة سيد الحاج أمحمد الأوغزيري، مما يجعل أي محاولة لتحديد الزمن الذي عاشه ضربًا من التخمين، وغالب الظن أنه من أهل النصف الأخير من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجريين، على وجه التقريب لا التحديد، وهو أمر تبيناه بعد التحقق من بعض أعمدة نسب حفدته (الأغزيري، 1387هـ/1967م؛ عباسي، 1385هـ/1966م). لذا، ورغم ما يزعمه الحفدة بأولف من أن جدهم سيد الحاج أمحمد الأوغزيري كانت له رفقة مع سيدي الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، وأنهما حجا بيت الله الحرام معًا (أ. ع. عباسي، اتصال شخصي، 3 ماي 2026)، أستبعد فرضية المعاصرة الزمنية بين سيد الحاج أمحمد الأوغزيري والشيخ مولاي عبد المالك الرقاني لعدم إمكانية اللقاء المباشر بينهما واقعيًا بحكم تباعد عصريهما، ولغياب الأدلة القطعية التي تثبت ذلك، والله أعلم (عبد الوافي، 2025أ).

[1] لقد كانت للشيخ مولاي عبد المالك الرقاني صلات وثيقة بعدد من قصور المنطقة، ومنها قصر أنزجمير. ويروى في هذا الصدد أن سيدي الشيخ بَلّة (عبد الله) ابن الشيخ سيدي الحاج أحمد التّنوري الودغيري الإدريسي (عبد الوافي، 2025ب)، نيابة عن أخويه سيدي الشيخ عبد الوافي وسيدي الشيخ محمد، كان ممن وفقه الله للمساهمة في بناء قصبة الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني. فقد قدم سيدي الشيخ بلة بخدمه وحشمه، ونزل بساحة الزاوية الرقانية، وتولى بنفسه الإشراف على بناء القصبة. وعندما أتم بنائها وزخرفتها (خاصة *الشَّرَبُف* وهو الزخرفة العلوية للجدران)، دعا الشيخ مولاي عبد الملك لآل التنوري التواتيين بدعاء تاريخي حفظته الأجيال، فقال متضرعًا: "اللهم كما شرفتم هذه القصبة، فإنه لا يتقدم أحد أمامكم أينما حضرتم، فأنتم مفتاح العرب." فكانت هذه الدعوة المباركة بركة ظاهرة في ذرية آل سيدي الشيخ الحاج أحمد التّنوري الودغيري الإدريسي إلى يومنا هذا. ومن الشواهد الحية على هذه الواقعة أسرة *باكريم* في زاوية الرقاني، إذ كان أفرادها ضمن الوفد المرافق لسيدي الشيخ بلة، وكان منهم حرفيون مهرة وحدادون. وبعد إتمام المهمة، استقر بعضهم في المنطقة بأمر من سيدي الشيخ بلة، وظلوا من أشهر حرفييها. وما تزال ذرياتهم موجودة حتى اليوم، فمنهم من استقر في قصر تاوريرت (مثل أولاد باكريم)، وآخرون في قصر تينولاف (مثل الحاج الصديق الذي كان حدادًا ثم أصبح تاجرًا معروفًا). وكلهم شاهد حي على تلك الصلة التاريخية بين قصر أنزجمير الفوقاني وزاوية الرقاني (مقابلة شخصية مع المعمّر مولاي علي من ذرية أولاد الرقاني، يوم 2 جوان 2024م، ببيته بقصر تَاوِرِيرْت في حدود الساعة 19:45). هكذا تبقى هذه الروايات جزءًا من الذاكرة الجماعية، تؤكد عمق التواصل بين أعلام الصلاح وأهل المنطقة الصُّلاح عبر الأجيال.

وأيًا يكن الجواب، الذي قد يأتي أو لا يأتي قاطعًا بصحة اجتماعهما معًا على أرض الواقع في حال حياتهما من عدمه، فإن مسألة غياب الوثائق وانعدام المصادر لا تنفي حقيقة العلاقة العميقة التي تجسد مفهوم الصحبة الروحية في علم السلوك والتزكية، والتي تتجاوز حدود الزمان والمكان لتكون رباطًا قلبيًا متينًا. ثم إن الذاكرة المجتمعية في قصور توات تشهد على استمرارية تأثير أسرار هذه الحبال الغليظة وبركاتها، مما يؤكد أنها ليست علاقة أشباح بل علاقة أرواح، وهي أسمى وأنفع، إذ تظل حية في الوجدان يتوارثها الأجيال ويجدون بركتها في أنفاسهم وحركاتهم وسكناتهم. ولأجل ذلك تبقى هذه المسحة الروحية الباطنية نموذجًا للروابط التي تتجاوز حدود المادة والتاريخ المدون، مؤكدة أن بعض الحقائق والأسرار لا تخضع لمقاييس عالم الظاهر، والله أعلم بحقائق الأمور.

2.7. خروج الفقرة: رحلة الذهاب من أوغزير إلى زاوية الرقاني

إن لفقرة أوغزير رحلة موسمية تتجدد كل عام لتجسد الروابط الحيوية الروحية والاجتماعية في منطقة توات، وتعكس عمق الصلة المتينة بين ذرية الوليين الجليلين: مولاي عبد المالك الرقاني وسيد الحاج امحمد الأوغزيري. تنطلق هذه المسيرة المباركة من قصر أوغزير حاملة معها إرثًا روحيًا عريقًا، لتقطع مسارًا زمنيًا يمتد أسبوعًا كاملًا (من مساء الجمعة إلى ضحى الجمعة الموالية)، وظرفًا مكانيًا يربط بين عدة قصور تواتية، حتى تبلغ مرامها بزاوية الرقاني صبيحة يوم الاثنين المخصص للزيارة المنشودة (عبد الوافي، 2025أ).

يتم الإعلان عن الفقرة بعد اتفاق يجري بين مُقَدَّم فقرة أوغزير (أو لَمْقَدَّمْ)، وهو من ذرية الولي الصالح سيد الحاج امحمد الأوغزيري، وأمير الركب والمتحدث باسم الفقرة، وبين كبير ذرية الولي الصالح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، صاحب العقد والربط في مثل هذه الأمور. والهدف من ذلك، الحرص على أن يستعد للفقرة ويشهدها الأبناء والذرية والمحبون وأهل القصور التواتية عمومًا، صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، التماسًا للبركة، ولكي تبقى راسخة في أذهانهم وحاضرة في قلوبهم، يتناقلونها جيلًا بعد جيل طول الزمان.

وبعد الاتفاق على موعد خروج الفقرة، يذاع خبرها قبل أسبوع من انطلاقها؛ فيؤذن مقدم الفقرة في الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد، بأن الفقرة تخرج الجمعة القادمة والموعد العصر إن شاء الله. كما يبعث برسائل إلى القصور التي اعتاد وفد الفقرة النزول بها في رحلة الذهاب والإياب. أما فيما مضى من غابر العصور، وقبل وجود وسائل الاتصال الحديثة، فقد كان خروج الفقرة مرتبطا بتاريخ 10 غُشت (أوت). ساعتها كان

الناس يجتمعون لها دون موعد مسبق، ويتوقعها أهل القصور التواتية كما جرت العادة. أما اليوم، فقد تغير موعدها لتصبح خلال النصف الثاني من شهر أوت، أي قبيل الدخول المدرسي، ليشهدها الناس في وقت يناسب الجميع.

يجتمع الناس إذن عصر يوم الجمعة التي تخرج فيها الفقرة عند ضريح سيد الحاج امحمد الأوغزيري، احتفالًا بالحدث وشهود تجهيز الراية (وهو ما يعرف محليا بتلباس العلام). يحضر المقدم الراية واللوازم الأخرى المحفوظة عنده، وتخرج العصا التي تحمل الراية من الضريح. بعد ذلك يبدأ المقدم بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أو كما يطلق عليه محليًّا: التَّعْشَاقْ)، حيث يصدع بصدر كل بيت فيتناغم معه الحاضرون بترديد عجزها، وصيغتها:

العَاشْقِينْ فَالنْبِي كَثَّرُوا مِنْ الصَّلاةِ عَلِيهْ الصَلاةُ والسَّلامُ عَلَيّكَ يا سَيّدي يا رَسُولَ اللهْ
الـــذَاكْرِينْ للنْبِي كَثَّرُوا مِنْ الصَّلاةِ عَلِيهْ الصَلاةُ والسَّلامُ عَلَيّكَ يا سَيّدي يا رَسُولَ اللهْ
المُحِبِينْ فَالنْبِي كَثّرُوا مِـــنْ الصَّلاةِ عَلِيهْ الصَلاةُ والسَّلامُ عَلَيّكَ يا شَفِيعنا يا رَسُولَ اللهْ

ثم يقرأ جميع من حضر سلسلة مشايخ الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، ويُشرع مباشرة في طقوس تجهيز الراية وسط حشود من أهالي قصر أوغزير والقصور المجاورة، كقصري الخلفي وزاوية بلال، والمحبين عمومًا من كل مكان. وبعد الانتهاء من تجهيز الراية وقراءة السلسلة، يأخذ الراية المسؤول عن حملها طوال الرحلة (ويسمى حاملوها برجال العتبة) فيستلمها من حضر من أهل النيات الحسنة بالتقبيل والتمسح بها على الرؤوس والوجوه تبركًا.

تنطلق الفقرة مباشرة من عند ضريح سيد الحاج امحمد الأوغزيري بقصر أوغزير، ولا تدخل الراية لوسطه، مهللين (التَهْلال): "الله يا الله، يا الله يا العزيز يا ربي،" سيرًا على الأقدام مع ضرب البندير (الْطَّارَهْ)، متجهين نحو ضريح الولي الصالح مولاي الشريف بقصر الخلفي. يقفون عند باب ضريحه، ويحضر نفر من رجال ونساء وشباب وصغار قصر الخلفي، ثم يرفع من حضر أكف الضراعة إلى الله (الفَاتِحَة، أو الدعاء الجماعي). ومن عند ضريح مولاي الشريف بالخلفي، تنطلق الفقرة مهللة إلى مقبرة أوغزير. يتوقف حينئذ عن ضرب الطارة تمامًا، فيترحم على الأموات ويهدى لهم ثواب "الفاتحة" أو " 11 قل هو الله أي سورة الإخلاص." من هناك مباشرة تتجه الفقرة سيرًا على الأقدام إلى قصر

تيطاوين الشرفاء نحو ضريح الولي الصالح مولاي الناجم الرقاني بالمقبرة، فيقفون خارجه إلى أن يحضر أحد الشرفاء من آل الرقاني لقراءة الفاتحة والدعاء.

مباشرة من قصر تيطاوين الشرفاء ببلدية أنزجمير، تتجه الفقرة إلى أول محطاتها بقصر مولاي العربي ببلدية سَالي أين يستقبلهم أهله قرب المسجدين (الفَوْقَاني والتَحْتَاني) زمن المغرب، فتبيت هناك ويحتفظ بالراية داخل المسجد. ثم ينطلق وفد الفقرة صباح يوم السبت من قصر مولاي العربي إلى قصر بَرْيش الفوقاني، فيمكثون هناك فترة قصيرة زمن الضحى. بعد ذلك تقصد الفقرة قصر بَاحُو للمقيل، وتغادره مساءً قرب غروب الشمس متجهة إلى قصر أَنْزَقْلُوف ببلدية رقان وقت المغرب. يمكث الوفد بأنزقلوف حتى ما بعد العشاء، ثم تغادر الفقرة بعدها إلى قصر آيَتْ المَسْعُود لتبيت ليلة السبت. تتجه بعد ذلك، أي صبيحة يوم الأحد، إلى قصر تَاعْرَابتْ وقت الضحى، ثم تغادره مساءً إلى قصر الجْدِيد أين يمكثون إلى قرب المغرب، ثم تتجه الفقرة إلى قصر تِينُولاف للمبيت.

3.7. دخول فقرة أوغزير لزاوية الرقاني: يوم الزيارة

في صبيحة يوم الاثنين، وهو يوم الزيارة المعهودة المنشودة، تغادر الفقرة قصر تينولاف متجهة نحو زاوية الرقاني ببلدية رقان، ولاية أدرار، حيث يقفون عند مكان معين، الله أعلم برمزيته، ويردد بعضهم:

اسْيدِي جِينا زَايْرِينْ حَلْ اكْنُوزَكْ واعْطِينَا آشْ امْكَافَاة الزَايرينْ غِيرْ امْحَبْة مَـــوْلانَا

بعد ذلك يجتمع موكب الفقرة عند الساقية بمكان تغمره الرمال وتهب عليه نسائم صباحية باردة متقطعة؛ فيتوافد إليه الناس من كل حدب وصوب لحضور الزيارة، سواء من رافق الفقرة منذ انطلاقتها من قصر أوغزير أو من انتظر موعد الزيارة صبيحة يوم الاثنين التماسًا للبركة. وعند اقتراب موعد الدخول إلى زاوية الرقاني زمن الضحى، يرفع المقدم صوته بالتعشاق بنفس الصيغة السابقة الذكر، لكن بلحن وصوت مختلف، فيه نوع من التؤدة وطول النفس.[1]

[1] وتدخل فقرة أوغزير بنفس صيغة الهيللة الخاصة بهم عند دخولهم زاوية الرقاني. وتبرز هنا ظاهرة فريدة تتمثل في استخدام البندير (الطارة) المصاحب للهيللة يوم زيارة الرقاني، وهو ما يشكل استثناءً واضحًا عن باقي فقرات الرقاني التي تقتصر على الهيللة دون مصاحبة الآلات الإيقاعية. لكن يبقى سبب هذا التمايز الطقسي لغزًا لم يحل بعد، عدا أن بعض القرائن التاريخية تشير إلى أن هذا الاستثناء قد يكون نابعًا من أقدمية قصر أوغزير ووليه الصالح سيد الحاج امحمد الأوغزيري، حيث يُرجح أن استخدام البندير سبق اتصالهم الروحي بالولي الصالح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، فحافظوا على هذه السمة كعادة

عندما تطأ أقدام وفد فقرة أوغزير عتبات زاوية الرقاني، يتجه الموكب فورًا صوب ضريح العارف بالله الولي الصمداني الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني صاحب السر والبرهان. يستقبلهم عند بهو المدخل الرئيسي لقصبة زاوية الرقاني، أشراف آل الرقاني بوجوه مشرقة وبترحيب وحفاوة بالغة وكرم، وفق التقاليد النبيلة العريقة المتوارثة التي حافظوا عليها جيلًا بعد جيل. فيستلمون من رجال العتبة الراية (لَعْلامْ) بطريقتهم الخاصة، مقبلين إياها إجلالًا وتبركًا، في مشهد يختزل عراقة التواصل الروحي وحبال المحبة والاحترام المتبادل بين الأسرتين الرقانية والأوغزيرية الشريفتين الكريمتين.

بعد المصافحة واللقاء، يقصد الوفد وجميع من حضر ضريح الشيخ مولاي عبد الملك الرقاني المتواجد داخل مسجده التاريخي الذي كتب على أحد جدرانه عبارة مأثورة بليغة تقول: "رأس الحكمة مخافة الله،" وتتدلى من خشبات سقف أروقته السلسلة التي كان الشيخ يربط بها رأسه في أوقات خلواته وصلواته لئلا يغفو، شاهدة على مجاهداته الروحية والتعبدية ابتغاءً لوجه الله ورضاه. في هذا المشهد الذي يعكس خصوصية المكان والزمان، يجتمع الحاضرون من أهل النيات الحسنة حول الضريح، ليبدأ المقدم بقراءة سلسلة الأنوار ويقرأ معه الجميع في نفحات روحانية متحدة تتناغم فيها أصوات الحناجر

خاصة بهم. ويستند هذا التفسير إلى حقيقة أن جميع فقرات الرقاني الأخرى تلتزم بالنهج التقليدي المتمثل في الاقتصار على الهيللة وحمل الراية دون مصاحبة الدف، وهو الأمر الذي ظل ثابتًا في جميع الفقرات حتى الوقت الحاضر. وهذا الانضباط في الطقوس يتوافق مع الأصل العام للمحاضر والفرق الصوفية في توات التي اشتهرت بالتركيز على ذكر القصائد والمدائح النبوية مع عزوف واضح عن استخدام المعازف. ويبدو من خلال دراسة التطور التاريخي لآلة البندير في المنطقة أن استخدامها لم يكن متأصلًا في التقاليد الصوفية الأصلية لتوات، بل جاء كعنصر طارئ تطور مع الزمن. فالبندير في شكله القديم كان يختلف جذريًا عن الشكل المعروف حاليًا، حيث اقتصر على جلد مدبوغ من المعز أو الخرفان (بعد معالجته بطريقة خاصة لإزالة الشعر) مشدودًا على إطار خشبي خفيف الوزن. هذا التصميم البسيط الذي يشبه في خفته وشكله الغربال أو المُنخُل (لكن بقطر أكبر)، والمعروف محليا باسم *الغَطَّارَهْ* (المستوردة غالبًا من تونس)، سهّل حمل الطَّارَهْ بيد واحد أثناء المسيرات الطويلة أو الوقوف المطول حتى لا يحدث التعب سريعًا. يرجح هذا التطور التقني أن استخدام البندير في فقرة أوغزير لم يكن من الثوابت التاريخية العميقة، بل هو تطوير حديث نسبيًا في مسيرة الفقرة. ومن منطلق هذا التحليل يتضح أن خصوصية فقرة أوغزير في استخدام البندير لا تعكس بالضرورة امتدادًا لتقاليد قديمة، بل هي ظاهرة تطورية، وتعكس قدرة الموروث الشعبي في توات على استيعاب بعض العناصر الجديدة مع الحفاظ على الجوهر الروحي الأصيل. وتزداد هذه الظاهرة إثارة للاهتمام عندما نعلم أن منطقة توات تعج بالشعراء وأصحاب القصائد الصوفية من الرجال والنساء، مما يجعل فرضية استحداث فقرة أوغزير للبندير بعد اتصالها بالشيخ الرقاني فرضية غير مرجحة، إذ من المستبعد أن تبتدع هذه الممارسة بعد الانخراط في المنظومة الرقانية دون سابق عهد بها. ويبقى هذا الأمر من الأسرار التي تحتفظ بها الذاكرة الجماعية لأهل توات، والله أعلم بحقائق الأمور وخباياها.

مع قلوب وأرواح من حضر في السر والعلن. عند الانتهاء من قراءة السلسلة يتقدم أحد أولاد الرقاني لقراءة الفاتحة والدعاء، ومن ثم تحفظ الراية عند ضريح الشيخ مولاي عبد الملك الرقاني إلى غاية صبيحة اليوم التالي. ومن هناك تخرج الفقرة مباشرة لزيارة ضريح ابنه الولي الصالح الشيخ سيدي محمد العيمش، وهو على بعد خطوات فقط، وبعد قراءة الفاتحة على روحه والدعاء ينصرف الناس إلى دار زاوية الرقاني. وفي تلكم الدار تقضي الفقرة يوم الاثنين كاملًا، حيث تمتلئ جنباتها بترديد السلسلة (والتوسيلة) وما تيسر من مديح وقصائد في جو يمتزج فيه الذكر بالابتهال.

ومع بزوغ فجر الثلاثاء، تبدأ مراسم جديدة بإخراج الراية من ضريح مولاي عبد المالك الرقاني لتدخل إلى ضريح ابنه سيدي محمد العيمش المجاور. ثم تنطلق الفقرة سيرًا على الأقدام نحو مقبرة أولاد الرقاني، حيث يتجمع الناس عند ضريح الشيخ مولاي عبد الله الرقاني بقصر انْتْهَنْت، فتدخل الراية إلى ضريحه وتقرأ السلسلة من جديد. وبذات المكان ترفع أكف الضراعة بالدعاء لأرواح الشرفاء آل الرقاني الراحلين رحمهم الله وأموات المسلمين برحمته التي وسعت كل شيء. وهذه الطقوس المتتابعة ليست مجرد مراسم شكلية، بل تمثل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، وتجسيدًا حيًا لعلاقة المريدين بشيوخهم، وإعلانًا متجددًا للعهد الذي يربط الأجيال بعضها ببعض في هذه السلسلة الذهبية من الإيمان والولاية. فاللهم ارحم السلف وبارك اللهم في الخلف.

4.7. عودة الفقرة من زاوية الرقاني إلى أوغزير: مسيرة البركة والتواصل

بعد صبيحة يوم الثلاثاء بقصر انتهنت برقان، تبدأ فقرة أوغزير رحلة العودة إلى قصرها الأم، محافظة على نفس نظام المحطات الذي اتبعته في الذهاب، مع النزول أو المرور بقصور جديدة. وفي مسيرة العودة تتحول هذه القافلة إلى موكب من البركة يتهادى بين القصور، فتجد أهل كل محطة ينتظرون وصول الفقرة بفارغ الصبر، حاملين معهم ما لذ وطاب، مؤكدين بذلك أواصر الأخوة والتكافل الاجتماعي. ففي قصر تِيمَدَانِين، أولى محطات العودة، يستقبل الأهالي وفد الفقرة بحفاوة بالغة، وهناك يُقضى المقيل إلى آخر المساء. ثم تواصل الفقرة مسيرتها إلى قصر النْفِيس وقت المغرب، فتمكث إلى ما بعد العشاء، ثم تتوجه إلى قصر آيَتْ المَسْعُود للمبيت. ومع بزوغ فجر الأربعاء، تنطلق الفقرة إلى قصر أَنْزَقْلُوف حيث الضيافة الصباحية، ثم إلى قصر زاوية الحْشَف وقت الظهيرة

للمقيل. وفي المساء، تتجه إلى قصر مِيْمُون، ثم تقضي بقية يومها في قصر بَرْيش التَحْتَاني وهناك المبيت.

ويشهد يوم الخميس استكمال الرحلة عبر سلسلة من القصور والقصبات التواتية: من قصر بَرْمَاتَه صباحًا، مرورًا بقصبة ابَّابَلّه، فقصبة مولاي علي، ثم قصر المْحَارْزَه للمقيل. وفي المساء، تزور الفقرة قصبة العَلُّوشِيّه، ثم قصبة سِيْد الشّريف، وأخيرًا قصبة مولاي عبد الواحد قبل العودة للمبيت في قصبة سيد الشريف. وفي الصباح الباكر لليوم التالي الموافق للجمعة، تختتم الرحلة بزيارة قصيرة لقصبة مولاي عبد الواحد، ومنها الانطلاق إلى قصر تيطاوين الشرفاء. هناك تجتمع الفقرة أولًا تحت المقبرة، ثم ينتقلون إلى مكان على بعد خطوات يدعى تَمَال قرب بيوت السادة آل عكرمي الشرفاء أين تقرأ الفاتحة وترفع الأيدي للدعاء. يتوجه وفد الفقرة بعد ذلك إلى مسجد قصر تيطاوين الشرفاء وينزل الجميع ضحًا في ضيافة أولاد الرقاني وعكرمي الشرفاء وأهالي القصر جميعًا قبل الانطلاق إلى المحطة الأخيرة، أوغزير.

أخيرًا عند وصول الفقرة إلى قصر أوغزير، يستقبلهم أهله بفرح عارم ويرافقونهم إلى ضريح مولاي الشريف بقصر الخلفي المجاور له. ومن هناك يكمل موكب الفقرة طريقه إلى قصر أوغزير وسط هتافات الهيللة وأجواء من السرور. تنتهي رحلة فقرة أوغزير عند الوصول إلى ضريح وليها سيد الحاج امحمد الأوغزيري من حيث كانت الانطلاقة الجمعة الفارطة. توضع الراية على ضريحه، لتبقى أسبوعًا كاملًا حتى الجمعة المقبلة. وفي عصر تلكم الجمعة المعهودة يتم نزع الراية وتحفظ لدى المقدم، أما العصا فتبقى معلقة داخل الضريح استعدادًا للموسم القادم إن شاء الله. إن هذه الرحلة المباركة ليست مجرد انتقال بين الأماكن، بل هي إحياء سنوي للروابط الاجتماعية، وتجديد للعهد الروحي، وتأكيد على وحدة المجتمع التواتي في المنطقة، حيث تتحول طرقات توات من مسارات وأزقة تربط بين القصور إلى شرايين وأوردة تصل بين قلوب وأفئدة من يسكنها وأرواح من دفنوا فيها.

8. مشاهد الكرم والتآخي في رحلة فقرة أوغزير

تمثل رحلة فقرة أوغزير ذهابًا وإيابًا بين قصور توات لوحة حية تعكس الأصالة الاجتماعية والروحية لأهلها. ففي كل محطة من محطات هذه الرحلة المباركة، تتجلى قيم الكرم وحسن الضيافة التي يتميز بها أبناء توات عبر الأجيال. عند وصول الفقرة إلى أي قصر،

يقف الوفد لدى المدخل المتعارف عليه، فيشرع المقدم بالتعشاق، مصليًا على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم راكب البراق، ثم يدخل الجميع بهيللة تملأ المكان روحانية وبهجة. يستقبلهم أهالي ذلك القصر المضياف بمختلف فئاتهم، الشيوخ والكهول والشباب، بوجوه مشرقة باسمة وقلوب منشرحة مستبشرة. ومع ذكر الصلاة على النبي وآله، تتعانق الأرواح قبل الرقاب وتتصافح القلوب قبل الأيادي، في مشهد يؤكد متانة الروابط الاجتماعية والتزام الجميع بآداب الاستقبال الشرعية.

ولا يقتصر الكرم على الترحيب الحار فحسب، بل يتجسد في تقديم أطايب الطعام والشراب بما يناسب وقت الزيارة: فطور الصباح إن كان الوقت باكرًا، أو الضحوى عند الضحى، أو الغداء وقت الزوال، أو العشوى مساءً، أو العشاء ليلًا. وإن مثل هذه التفاصيل الدقيقة في مواعيد القِرى تدل على اهتمام الأهالي وتفانيهم في إكرام ضيوفهم بما يليق بكل آن، وتترجم هذه العادات الحميدة مدى حرص المزور على خدمة الزائر بمحبة وإيثار. أما أبرز مظاهر هذه اللقاءات فهي مجالس المدح النبوي (المْحَضْرَهْ) التي تقام في كل قصر تقريبًا (عدا القصور التي تمر بها الفقرة على عجل، كقصر ميمون). يقف الناس في صفين متقابلين كتفًا لكتف وقدمًا لقدم، يتوسطهم المدّاحون (أو المدَّاحَهْ، ومن بينهم المقدم) ومن ورائهم يتبعهم حاملو البندير (الْطَّارَاتْ). وتنطلق محفلة المديح (المحضره) بأول قصيدة (مَدْحَهْ) ينشدها المقدم عادة بأبيات مختارة من الشعر الملحون الصوفي، مثل:

للّهْ اقْبَـلْ مَنْ جَاكْ يا مَوْلاَيْ عَبْد المَالِك
للّهْ اقْبَـلْ مَنْ جَاكْ يـا وَلِيّ اللّهْ مَـــالِكْ
للّهْ اقْبَـلْ مَنْ جَاكْ لَـهْفَانْ اعْلَى مَلْقَاكْ
سَعْدُ سَعْدُ مَنْ رَاكْ اوْشَـاهَد ضِيُّ جَالَكْ

أو

بِسمْ اللّهْ ابْدِيتْ بَابْ اللّهْ مَحْلُولْ قَـاصَدْ رَبِي في احْمَاكُمْ نَسْتَضْرَا
غَارَهْ غَارَهْ يا اسْيَادِي يا لَفْـحَولْ والبِيزَانْ أُولادْ فَـــــاطِمْ الزَّهْرَا

وتتوالى القصائد التي تعبر عن حب آل البيت والتعلق بالطريقة، مثل:

يا سَـــــادَتِي يـــا الشَّرْفَـا ضِـيفْ المَـولَى وضِيفُكُمْ
يا سَـــــادَتِي يـــا الشَّرْفَـا الليلِـــهْ جِـيتْ عَـنْدْكُمْ

يا سَـــــادَتِي يـــا الشَّرْفَـا يا مَعْـدَنْ الجْـــودْ والوَفَا
نَسْـأَلْكُمْ بِـــالمُصْـــطَفَى رَاهْ المَـــولَـى اخْتَارْكُـمْ
مِن نُطْفَهْ طَاهْرَهْ اضْرِيفَهْ مَـا كَـــانْ الِّـــي ابْحَالْكُمْ
يا سَـــادَاتِـــي ويا اسْيَادِي جِيتْ لِيكُـمْ ادْخِيلْ سِيدِي
انْمَجَدْ بُوفاطمـــهْ الهَادِي هُـوّ سِيـــــدِي وسِـــيدْكُمْ
قَـــبْلُونِـــي كَمّلُوا مُرَادِي هَـاذْ الليـــلَهْ انْـدَهْـتْكُمْ

يتضح لنا من خلال هذه النماذج بأن الفقرة مدرسة حية تنقل للأجيال قيم التصوف، وتعزز أواصر المحبة بين القصور، وتجسد وحدة المجتمع التواتي في ظل التمسك بالثوابت الدينية والاجتماعية. فكل الصور التي وقفنا عليها من خلال هذه الرحلة المباركة، تمثل منظومة تربوية حية تنقل للأجيال تراثًا روحيًا واجتماعيًا أصيلًا. فمثل هذه الممارسات الحميدة تختزل حكمة القرون في الجمع بين العلم الشرعي والسلوك الأخلاقي، وبين التمسك بالثوابت الدينية الإسلامية الحنيفة وترسيخ القيم الاجتماعية النبيلة السمحة.

أما جمال هذا الإرث الشعبي فترجمته في التفاصيل الدقيقة، من آداب الضيافة وطقوس الاستقبال، إلى مجالس الذكر والمديح النبوي. وعليه يمكننا القول بأن فقرة أوغزير موروث شعبي ومدرسة عملية تعلم التواضع والمحبة، وتوثق عرى الأخوة بين القصور، وتجسد وحدة المجتمع التواتي في ظل التمسك بهويته الدينية والروحية والثقافية والاجتماعية. وكل هذه المظاهر تشهد على عراقة تراث يمزج بين الأصالة والمعاصرة؛ فهي محاضن تخرج فيها أجيال تتربى على محبة الله ورسوله وآل بيته وصحابته والعلماء والصالحين، وكذا التمسك بقيم السلف الصالح التي تعكس استمرار سبل وأسباب التواصل الظاهري والباطني بكل ثقة ورسوخ بين الماضي والحاضر والمستقبل بتيسير الله.

9. أمور ينبغي التنبه عنها

بعد هذه الرحلة الوصفية التي كشفت عن كنوز توات الروحية والاجتماعية الثرية، يحسن بنا أن نختم ببعض التنبيهات والنصائح التي تهدف إلى تصحيح بعض الممارسات الشائعة، حرصًا على نقاء العقيدة وصحة العادة. وهذه الملاحظات لا تخص فقرة أوغزير وحدها، بل هي عامة تشمل العديد من ممارسات العامة التي تحتاج إلى مراجعة وتصويب.

أولًا، مسألة الطواف حول الأضرحة: لاحظت ظاهرة خاطئة تتعلق بطواف بعض العوام، جهلا لا عن قصد، حول أضرحة الأولياء، ملتمسين بذلك بركة أو فضلًا. وهذا من الأمور المنكرة شرعًا، إذ لم يشرع الطواف إلا حول الكعبة الشريفة سبعة أشواط فقط. وهذا الصنيع وإن كان يصدر عن حسن نية، إلا أنه يفتح بابًا للوقوع في المحظور والعياذ بالله. لذا يجب تنبيه الناس بالحكمة والموعظة الحسنة لتجنب فعل هذا الأمر بتاتًا.

ثانيًا، تصحيح المدائح والقصائد: ثمة بعض الأبيات في الشعر الملحون تحتاج إلى مراجعة. فلما كانت هذه القصائد تتناقل عن طريق السماع، دون كتابة أو تلقين وعرض، كثر فيها اللحن والخطأ، مما يستدعي عرضها على أهل العلم لتنقيح وتهذيب ألفاظها، مثل القصيدة التي تبدأ بـ: "آمن هو واحد، واحد هو الله" إلى البيت الذي يقول: "امن هي تسعة، تسعة رهط" في إشارة إلى قوم سيدنا صالح عليه السلام، الذين عقروا الناقة فدمدم عليهم ربهم. وهذا غير لائق بالمديح، فكيف يتبرك بالعصاة؟ فالأولى تصحيحه واستبداله، كأن نقول مثلا: "آمن هي تسعة، معجزات موسى" أو بما يناسب المعنى والوزن، والأمر واسع ولله الحمد.

ثالثًا، الأخطاء اللفظية في الدعاء، بحيث نسمع كثيرًا عبارات مثل: "يجعل سيدي ربي" أو "يعمل مولانا،" وهذه من الأخطاء التي تتنافى والعقيدة، إذ لا إله إلا الله وليست ثمة من يكرهه على فعل شي حاشاه. والأصح أن يقال: "اللهم" أو "يا رب" أو "يا مولانا." فمثل هذه الأخطاء، وإن كانت تصدر عن جهل، تحتاج إلى توضيح وتصحيح بالرفق والحكمة.

رابعًا، التناسب بين المعنى والحال: هناك ملاحظة ذوقية مهمة تتعلق بعدم التناسب بين كلمات المدح وحالة المنشدين. فنجد بعضهم ينشد: "نُوحِي وابْكِي يا عِيني مَادَا ايْحَانِيني في قَبْري" وهو في حالة طرب ورقص، وهذا تناقض ظاهر وغير محمود أبدًا. فكيف يلهج اللسان بذكر ضمات القبر ووحشته، بينما الجسد يتراقص فرحًا؟ فالأولى أن تختار العبارات بعناية فائقة كما تنتقى أطايب الثمرات. لذا لا بد أن يتوافق المقال مع الحال، فيكون الخشوع حال الوعيد والتنبيه من الغفلة، والفرح والسرور حال البشارة لا النذارة. وبيت القصيد مما أشرت إليه من أمثلة هو تنبيه الناس من الغفلة وحثهم على ما يصلح العقيدة والعادة.

وعلى كل حال، أحببت أن أشير إلى هذه الأمور غيرة على دين الله، وحرصًا على تصفية العبادات والعادات من الشوائب والنقائص والمنكرات. فكما حفظ أسلافنا هذا التراث الروحي العظيم، وجب علينا أن نحافظ على نقائه وصفائه. والله تعالى أعلم بالنيات، وهو الهادي إلى سواء السبيل. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

خاتمة:

تمثل فقرة مولاي عبد المالك الرقاني في قصر أوغزير بتوات، نموذجًا فريدًا للتراث اللامادي الذي يجسد التمازج بين العلم والروحانية والأدب والتاريخ. فهذه الفقرة، بما تحمله من أسرار ربانية وأنوار روحية، تروي صلة الوصل والمحبة بين وليين صالحين هما: سيد الحاج امحمد الأوغزيري ومولاي عبد المالك الرقاني، تلك الشخصية الدينية التي طبعت تاريخ توات بعلمها وأخلاقها. ومن خلال هذه الورقة علمنا أن أهمية فقرة أوغزير لا تقتصر على الجانب الديني فحسب، بل تعتبر نافذة متعددة الأبعاد تطل على: أ) الأدب الشفهي وسبل حفظه عبر الزمن، ب) التاريخ الاجتماعي لتفاعلات الأسر التواتية، ج) الهوية الإسلامية والثقافية المتمسكة بأصالتها في ظل العولمة وعصر الفتن.

هذا وتحافظ إلى اليوم، ولله الحمد، الأسر الزينبية الجعفرية بقصر أوغزير والرقانية الحسنية بزاوية الرقاني على هذا الإرث عبر الأجيال، مواصلة نشر تعاليم الإسلام السمحة وقيمه التربوية، مما عزز دورها كحلقة وصل بين الماضي التليد والحاضر الجديد. وعليه، فإن دراسة هذا التراث الزاخر بالمسرات ليست مجرد توثيق للماضي بل إضاءة لطريق المستقبل، حيث تبرز كيف يمكن للعادات الشعبية والرواية الشفهية أن تكون جسرًا بين الأجيال وحصنًا للهوية في عالم سريع التغير. ويظهر هذا جليًا في الأسلوب الأدبي للفقرة الذي يزاوج بين الفصاحة العربية والألفاظ المحلية التواتية، منتجًا نسيجًا لغويًا فريدًا في المدائح والقصائد التي تتناقل شفويًا في شتى المجالس والمحافل إلى حد الساعة.

ولضمان استمرارية هذا الإرث الثقافي والروحي وتعزيز حضوره محليًا وعالميًا، يتوجب العمل على توثيقه أكاديميًا عبر تشجيع الدراسات المتخصصة، وحفظه رقميًا من خلال إنشاء أرشيف سمعي بصري يضمن بقاءه للأجيال القادمة لربطهم بجذورهم؛ كما ينبغي أيضا تعزيز حضوره إعلاميًا بإبرازه كنموذج أصيل للتراث اللامادي الجزائري. ومن الأهمية بمكان دعم المؤسسات المعنية لهذا التراث وحمايته، مع تنظيم حوارات بينية تنقله من جيل إلى جيل، وترجمته إلى لغات أخرى لإبراز قيمته وضمان استمراره. بهذه الخطوات،

يمكن تحويل الفقرة (سواء فقرة أوغزير أو باقي الفقرات الناشطة بتوات أو الجزائر) من تراث تواتي جزائري محلي إلى إرث إنساني حي، يثري الحاضر ويبني مستقبلًا واعيًا بجمال التعددية الروحية والثقافية التي تزخر بها القصور التواتية أو غيرها من القصور والمناطق الجزائرية الغنية بثقافات متنوعة.

قائمة المراجع:

الأغزيري، محمد بن حمد بن السالم بن محمد. (1387هـ/1967م). تقييد نسب امباركة صاحبة زاوية الحشف. نسخة مخطوط (د.ر.). الجزائر، أولف: خزانة حفدة سيد الحاج امحمد الأوغزيري.

أكنسوس، سيدي محمد بن أحمد. (دت.). الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا تشبث. الجزائر: دون دار نشر.

البرتلي، أبو عبد الله بن أبي بكر الصديق. (1981). فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط. 1). لبنان: دار الغرب الإسلامي.

البشار، محمد. (2009). أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك (شرحه وشكله عبد الرحمن البرقوقي، ط. 1). مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع.

بقادر، عبد القادر. (2024). "من علماء اللغة في الجنوب الجزائري: عبقري توات الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي." مجلة الذاكرة، 12(2)، 13-30.

بلعالم، محمد باي. (2005). الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات (ط. 1، ج. 1). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

بن الفاروق، محمد الدغوغي الودغيري الإدريسي، وعبد الوافي، هشام. (2026). الدغوغيون الوداغير الأدارسة في شمال مالي والنيجر وجنوب الجزائر. في بنعلي بوزيان، محمد، وعبو، عمرو (محرران)، واحة فجيج ... ذاكرة المكان وإبداع الإنسان: أشغال ندوة تكريم الأستاذ العربي هلالي (ص ص. 57-95). المغرب: وزارة الشباب والرياضة والتواصل.

بن جعفري، عبد القادر. (2023). أمي توات: من عبق تراثها (ط. 2، ج. 1). الجزائر: دار الدواية للنشر والتوزيع والطبع.

بن عمر، مصطفى محمد الرقادي الكنتي. (د.ت.). نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. مخطوط (د.ر.). الجزائر، أدرار: خزانة كوسام.

بن قايد، عمر. (2022). "الطريقة الطيبية، نشأتها ومشائخها في الجزائر في القرن 19م." مجلة روافد للبحوث والدراسات، 7(1)، 243-253.

بوسعيد، أحمد. (2012). الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري من القرن 12هـ/18م [رسالة ماجستير، جامعة أدرار، الجزائر].

بوفلجة، حرمة. (2019). "المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي." مجلة رفوف، 04(07)، 90-116.

جعفري، أحمد أبا الصافي. (2007أ). الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين [رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر].

جعفري، أحمد أبا الصافي. (2007ب). "الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي." مجلة الفضاء المغاربي، 5(2)، 117-130.

جعفري، مبارك. (2017). "الطريقة الرقانية التواتية وانتشارها في إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 12 – 13هـ/18-19م." مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، 22، 63-74.

الدغوغي، الشيخ محمود بن الشيخ حماد الإدريسي. (ت. 1407هـ) (د.ت.). التبر التالد في مناقب الشيخ الوالد. مخطوط من مجلدين كبيرين (د.ر.). مالي والنيجر وجنوب الجزائر (برج باجي مختار): خزانة العائلة الدغوغية الودغيرية الإدريسية.

السباعي، بن بحوص العمري العيساوي الإدريسي. (2020). السباعيون عبر العصور في الماضي والحاضر والمنظور. الجزائر: دون دار نشر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (2010). العجاجة الزرنبية في السلالة الزينية (تحقيق ناصر آل سعيد). السعودية: مجلة عالم الكتب.

الطاهري، مولاي أحمد الإدريسي. (2010). نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات (تحقيق مولاي عبد الله الطاهري). الجزائر: دون دار نشر.

عام، أحمد بن الشيخ همهم. (2021). نيل الوطر لطالب تكميل نظم العبقري (تحقيق وجمع محمد محمد صفوان). النيجر: دون دار نشر.

عباسي، محمد محمد بن أحمد بن السالم بن محمد بن محمد الأغزيري. (1385هـ/1966م). تقييد نسب السيد محمد الأغزيري. نسخة مخطوط (د.ر.). الجزائر، أولف: خزانة حفدة سيد الحاج امحمد الأوغزيري.

عبد الوافي، عبد الوافي. (2015). الدرس الدلالي في توات من خلال روضة النسرين للمزمري [مذكرة ماستر، جامعة أدرار، الجزائر].

عبد الوافي، هشام. (2023، نوفمبر 30). الحاج أحمد بن التنوري الزياني الودغيري الأنزجميري التواتي: دراسة وبحث علاقة التنوريين التواتيين بالزيانيين الودغيريين بالمغرب. مؤسسة سيدي عبد الرحمن الودغيري. تم استرجاعها في تاريخ 21 مارس 2025 من bit.ly/44Ssofq

عبد الوافي، هشام. (2025أ، أبريل 29-30). فقرة مولاي عبد المالك الرقاني أوغزير وسيد الحاج امحمد الأوغزيري بتوات [ورقة بحثية]. المؤتمر الدولي الأول حول زوايا العلم والتصوف وأثرها في إصلاح الفرد والتنمية المجتمعية: الزاوية الرقانية وامتداداتها في إفريقيا أنموذجًا. تنظّم: المدرسة القرآنية الداخلية للشيخ مولاي عبد الله الرقاني رحمه الله للتعليم القرآني وعلوم الدين بزاوية الرقاني، بالتنسيق مع جامعة برج بوعريريج، جامعة تمنراست، جامعة بشار. زاوية الرقاني، ولاية أدرار، الجزائر.

عبد الوافي، هشام. (2025ب). الرجل اللغز: الشيخ الحاج أحمد بن التنوري الزياني الودغيري الإدريسي الأنزجميري التواتي. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 10(2)، 51-78.

العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي. (2005). فتح الباري بشرح صحيح البخاري (تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط. 1). السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.

العلوي، السيد الحبيب بن عبد الرحمن التواتي السالي. (د.ت.). شرح الفوز المبين بالمرشد المعين. أدرار: دون دار نشر.

الغماري، أحمد بن الصديق الحسني. (2002). تشنيف الأذان بأدلة استحباب السيادة عند اسمه صلى الله عليه وسلم في الصلاة والإقامة والأذان (مراجعة علي جمعة محمد). مصر: دار جوامع الكلم.

غيتاوي، مولاي التوهامي. (2001). سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات (ط. 1، ج. 1). الجزائر: المطبعة الحديثة للفنون المطبعية.

قصباوي، عبد القادر. (2013). "دراسة وصفية لخزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن امحمد الزجلاوي – قراءة في مؤلفه شبكة القناص." مجلة رفوف، 3، 33-67.

المخلوفي، محمد بن محمد بن محمد الحسن الودغيري الفاسي. (2015). الدر النثير فيمن اشتهر وصح نسبه من الشرفاء الوداغير (تحقيق العربي هلالي الودغيري، ط. 2). المغرب: مطبعة فضالة–المحمدية.

موساوي، مجدوب. (2021). من علماء وادي السّاورة بجنوب غرب الجزائر: الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي -التعريف به وبآثاره-. مجلة متون، 14(4)، 25-40.

هلالي، العربي الودغيري. (2022، ديسمبر). القطب العارف بالله الشيخ عبد الرحمن الودغيري. مؤسسة سيدي عبد الرحمن الودغيري. تم استرجاعها في تاريخ 21 مارس 2025 من bit.ly/443PbVl

هلالي، العربي الودغيري، وبنعلي، محمد بوزيان. (2024). إمارة المخلوفيين الفجيجيين: من قصر الوداغير إلى سيدي مخلوف (الأغواط) (ط. 2). الجزائر: السهوب للنشر والتوزيع والترجمة.